جون شتاينبك

ثم غاب القمر..

مسرحية مقتبسة

بقلم

حسين مؤنس





مسرحية فى ثمانية مناظر

مقتبسة من : The Moon is Down

تأليف

جون شتاينبك

قام باقتباسها

الدكتور حسين مؤنس

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى " الفجالة "

هذه المسرحية *

قصص الوطنية والحماسة القومية كثيرة ، وهى تختلف هدوءا وعنفا ، طولا وقصرا ، بلاغة وبساطة ، ولكنها تلتقى جميعا عند نقطة واحدة : تصوير الصراع الأبدى بين الغالب والمغلوب ، بين القوى والضعيف ، بين المستبد بأمره والمغلوب على بلاده ، وتنتهى فى الغالب بانتصار الحق والحرية على القوة والاستبداد ..

وعندما أراد جون شتاينبك أن يأخذ بنصيبه من تصوير ذلك الكفاح الأبدى ، لم يستطع أن يتخلى عن طبعه الهادىء الرصين ، الذى يعرف كيف يصور أعنف العواطف والمشاهد بلمسات رقيقة بسيطة خالية من التكلف ، ولكنها على بساطتها تفيض بالحرارة والحيوية والصدق ، وتثير فى نفس القارىء من المشاعر ما هو أقوى بكثير من الخطب الحماسية المتوقدة ، التى تثير فى النفس حماسة عابرة تومض لحظات ثم تتلاشى بنفس السرعة التى توقدت بها ..

وهذه القصة نموذج رائع من فن شتاينبك الأدبى المصقول . انها حلقة من كفاح قرية صغيرة عزلاء ، مع مستبد غاشم فاجأها فى ظلام الليل ، واستعان عليها بنفر من الخونة ، فملكها واستبد بأهلها . أقول « حلقة » لأنها ليست قصة طويلة يصطرع فى فصولها شياطين الاستبداد مع ملائكة الحرية ، وتنتهى بانتصار

الملاك على المارد .. ولكنها صورة لحلقة من حلقات صراع أهل القرية مع المستبد ، نرى فيها كيف ينتصر الأحرار الأعزة على المحتل الطاغى ، من غير قتال عنيف ، ومن غير مناظر أو مشاهد مؤثرة .. بل بالعزيمة الثابتة ، والتصميم الذى لا يتزعزع ، والتماسك التام ، والاستعداد لكل تضحية ، حتى يسأم المحتل ، وتضيق الدنيا فى وجهه ، ويشعر كأنه هو السجين .. وحتى يشعر — وهو يسوق الأحرار الى الموت — انه هو المنهزم ، وأن القرويين العزل قد أذلوا أنفه وانتصروا عليه ..

وهذا هو الذى حدانى الى اختيار هذه القصة دون غيرها ، ففيها من دقة التحليل ، وبراعة التصوير ، ما يجعلها غرة من غرر الفن .. وفيها من عمق التفكير ما يجعلها قطعة فلسفية كبرى ، يشعر قارئها — على اثر فراغه من قراءتها — بأن صفحاتها القليلة جعلته انسانا أفضل ، وأنها علمته من معانى الحرية ما لاتعلمه اياه قعاقع الخطب البلاغية المدوية ، ولاصرخات الأبطال فى ميادين الكفاح ..

وقد رأيتهم استخرجوا من هذه القصة مسرحية مثلوها على المسارح ، وشهدتها مرات كثيرة على مسرح مدينة زيوريخ فى سويسرا ، فخطر لى أن أنقل هذا الاقتباس الفريد .. فترددت على المسرح أياما وبيدى الأصل ، لأدون طريقة التحوير . وعلى ذلك الأساس كتبت الصورة العربية التى يراها القارىء على هذه الصفحات ..

القالب المسرحي للقصة :

وقد لجأ الذين استخرجوا المسرحية من القصة الى طريقة معروفة من طرق التأليف المسرحي : وهي طريقة المشاهد المتوالية، دون التقسيم الى فصول ، والفصول الى مشاهد . وفي كل مشهد تعرض حلقة من حلقات القصة ، مع الاستعانة « بمتحدث » يظهر أمام الستار — وقبل رفعه عن كل فصل — فيصف الجو العام ، ويقدم المشاهد الى المتفرج . وليس معنى ذلك أن « المتحدث » جزء من الرواية لا يستغنى عنه — كما هو الحال في « الكرونكلر » *(Chronicler)* الذي يلجأ اليه بعض المؤلفين لحكاية الحوادث التي لا يمكن عرضها على المسرح — بل ان المسرحية هنا كاملة بنفسها دون الحاجة الى « المتحدث » ، وانما أدخله الذين اقتبسوا المسرحية من القصة ، لكي لا يضيعوا على المتفرج لذة الوصف الأدبي الرائق الذي تمتاز به كتابات جون شتاينبك : فهو يصف هنا الحالة العامة في القرية ، أي خارج المشهد الذي سيراه النظارة، ثم يقدم المشهد نفسه ويختفي كأنه شبح ..

وهذا المتحدث يظهر أمام الستار ، ويتحدث كل مرة برهة لا تزيد على ثلاث دقائق أو أربع ، ويرتفع الستار وهو لا يزال يتكلم ، وقد يمر وسط المنظر ويشرح بعض ما فيه ، وقد يتحدث عمن فيه وهو منفصل عنهم تماما ، كأنهم لا يشعرون به، ثم يختفي من تلقاء نفسه .. ويستحسن أن تكون ملابسه خلال التقديمات كلها واحدة : بذلة سوداء مثلا ، ولهجته فلسفية أدبية . وهو

لا ينفعــل ، ولا يتحدث فى صـــوت رهيب خاص ــ كأنه صوت الزمان مثلا ــ بل هو مجرد رجل عادى يتحدث فى بســـاطة ، كأنه يقرأ صفحة من قصة شتاينبك نفسها ، وهو فىالواقع يفعلذلك ، دون أن يتلو من كتاب ..

شخصيات القصة :

لم يقسم شتاينبك شخصيات قصته الى ملائكة وشـــياطين ، الى أبطال وأشرار .. فهو يعرف أن الانسان لا يمكن أن يكون ملاكا خالصا ، ولا شيطانا خالصا ــ والا لمـا خلقه الله ، ولكان فى الملائكة والشـــياطين كفاية ! ــ وانما هو انســـان فيه من الخير ومن الشر جوانب .. كل الفرق أن هناك ناســـا هم أقرب الى الشـــياطين ، وناســـا هم أقرب الى الملائكة . وذلك يضفى على قصـــته طابعا انسانيا واقعيا خالصا ..

فبطل القصة ــ وهو الســـيد « أوردن » عمدة القرية ــ ليس بطلا من الطراز التقليدى المعروف ، وانما هو انسـان بطل ، فيـــه نواح كثيرة من الضعف ، وهو يعترف بأنه ليس شجاعا وبأنه فكر فى الهرب ، ولكنه «مؤمن» بنفسـه ، وبرسالته فى الحياة ، وبحقوق وطنـــه ، وهو يتحدث فى بســـاطة تامة وتواضـــع عظيم ، وهذه البساطة نفسها هى التى تجعل منه بطلا حقيقيا ، وترغم المحتل على احترامه وتجعله يشعر بالهزيمة أمامه . وهو حينما يسير الى مصرعه فى ختام الفصل الأخير لا يخرج خروج الأبطال التقليـديين،

ولا يلقى خطابا حماسيا ، ولا يقول : « مرحبا بالموت فى سبيل الوطن ! » ، بل يخرج فى ثبات وهدوء وبساطة ، بعد أن يوصى صديقه الدكتور وينتر بأن يؤدى عنه دينه الذى سيحول الموت بينه وبين أدائه ، ويردد فى هذه المناسبة آخر عبارة رددها سقراط قبل أن يتجرع السم ؛ ويفهم الانسان من هذه العبارة البسيطة أنه لم يقصد مجرد أداء دين مالى، بل هو يعنى دينا روحيا وطنيا جليلا . وهذا هو أسلوب شتاينبك فى التعبير . .

وجميع أبطال القصة من هذا الطراز الانسانى الرفيع : هم أبطال انسانيون ، يستطيع كل انسان أن يكون مثلهم ، وتلك هى القيمة الكبرى لهذه القصة : انها قصة ممكنة الوقوع ، وأبطالها من عامة الناس ، فكل انسان عادى يعرف قيمة الفضائل ويقدر وطنه حق قدره يستطيع أن يكون بطلا ، بينما لا يستطيع أن يكون « السّيد » الا رجل له صفات رودريجو دياز دى بيفار . .

و « شياطين » هذه القصة هم من ذلك الطراز كذلك : انهم ليسوا زبانية سودا لا يفكرون الا فى الشر ، قلوبهم من حجارة واحساسهم متبلد . . بل هم ناس كغيرهم من الناس ، لهم نصيب من طيبة القلب ورقة الاحساس ، اضطرت بعضهم ظروف الحياة الى أن يقوموا بأدوار الأشرار . . وبعضهم الآخر مخدوع متأثر بدعايات قومية وطنية . ومن هنا فنحن لا نرى فى « الكولونيل لانسر » قائد قوة الاحتلال شيطانا مريدا لا هم له الا التنكيل بالأحرار ، بل ضابطا عاديا يؤدى واجبه البغيض ، على كره منه فى

كثير من الأحيـان . ومن ثم فالمسـافة بينه وبين بطل القصـة « أوردن » قصـيرة جدا ، وسـوف نراهما يلتقيان عندما يلقى « أوردن » فقرات من خطاب وداع سـقراط فى المنظر الثامن . وهكذا بقية أسرار تلك القصة الفريدة .

وعلى الذين يخرجون هذه القصـة ، أو الذين يشـتركون فى تمثيلها ، أن يراعوا هذه الناحية تماما ، والا ضاعت قيمة القصـة وماتت فى أيديهم وخفى معناها ومغزاها على النظارة . .

ينبغى أن يجرى كل شىء فى هدوء وبسـاطة ، دون تصنع أو تكلف النطق بالعبـارات على نحو خطابى فخم بقصـد استثارة العواطف ، وينبغى أن يجرى كل شىء على حالتـه الطبيعية من التؤدة والأناة ، حتى يتـاح للنظارة أن يتمثلوا مغزى القصة تمثلا جيـدا .

ان چون شـتاينبك كاتب انسـانى يعرف كيف يمس أعمـاق القلوب ، فلا بد لمخرجه أن يعرض قصته عرضا انسانيا صرفا ، ولابد أن يؤدى الممثلون أدوارهم أداء انسانيا طبيعيا ، حتى يصل المعنى كاملا الى قلب الانسان العادى الذى هو « المتفرج » . .

القاهرة ، مارس ١٩٥٦ — **حسين مؤنس**

شخصيات الرواية

أوردن	Orden	: العمدة
ساره	Sarah	: زوج العمدة
وينتر	Winter	: صديق العمدة ، طبيب
چوزيف	Joseph	: خادم العمدة
آنى	Annie	: طاهية فى منزل العمدة
أليكساندر	Alexander	: عامل
مولى	Molly	: زوج أليكساندر
ويل أندرس	Will Anders	أخوان ، صيادا سمك
توم أندرس	Tom Anders	
چورچ كوريل	G. Corell	: الخائن ، تاجر
لانسر	Lanser	: قائد جيش الاحتلال
بينتك	Bentick	ضباط فى جيش الاحتلال
پراكل	Prackle	
هنتر	Hunter	
تندور	Tondor	
لوفت	Loft	

المنظر الأول

(يخرج المتحدث من بين شقى الستار ويقفه صامتا أمام الجمهور .. ثم يبدأ فى الكلام)

المتحدث : فى الساعة الحادية عشرة الا ثلثا من هذا المساء ــ الأحد ــ تم كل شىء .. احتل الغزاة القرية بعد أن قضوا على كل مقاومة المدافعين عنها وهزموهم ، وانتهت الحرب بالنسبة لهذه القرية . كان الغزاة قد أحكموا خطة الغزو هنا ، على عادتهم فى كل خططهم السابقة . كان مدير مكتب البريد ورئيس قوة البوليس قد خرجا للصيد فى قارب أعارهما اياه « كوريل » التاجر هنا . وعند ما بعدا عن الشاطىء رأيا سفينة حربية صغيرة محملة بالجنود الأجانب تيمم جهة الشاطىء ، فأدركا أن الأمر خطير .. وأسرعا بتحويل

قاربهما نحو الشـــاطىء ليعودا الى القرية على
عجل ، ووصلا الى الشاطىء ليجدا سفينة الغزاة
قد أرست ، وخرج الجنود منها واحتلوا مراكز
القرية الرئيسية ومكاتب الحكومة ، وعنـــدما
أرادا دخول مكتبيهما قبض عليهمـــا المغيرون
واعتبروهما أســيرى حرب . وكانت القـــوة
المحلية ـــ وعدة رجالها اثنا عشر فحسب ـــ قد
خرجت لتقضى عطلة يوم الأحد فى نزهة أعدها
لهم السيد « كوريل » ، فى مكان يبعد ســتة
أميــال عن القرية .. وعنـــدما رأوا الطائرات
تنزل جنود مظلاتها على القرية من بعيد عادوا
مسرعين ، ليجدوا العدو قد سد المنافذ ووقف
بالمدافع الرشاشة دونها.. ودارت معركة صغيرة
قتل فيها ســتة من قوة القرية وجرح ثلاثة وفر
الثلاثة الباقون الى التلال ببندقياتهم . وفى تمام
العــاشرة والثلث كان المغيرون قد أتموا احتلال
القــرية ووقفت فرقتهم الموســيقية العسكرية
تصدح بأنغــام رقيقة وســط الميدان الرئيسى
للقرية . وحول الميدان وفى النوافذ وقف بعض
سكان القرية ينظرون دون أن يفهموا شــيئا .

كانت الدهشـــة تتجلى فى عيونهم ، فوقفــوا صموتا لاينبسون بحرف . لم يكونوا قد علموا بعد أن مصير بلدهم قد تقرر ، وأن الغزاة ذوى الخوذات الفــولاذية قد احتلوا بلدهم .. وفى العاشرة والنصف كان الســيد « كوريل » قد أخذ مكانه فى القاعة الواســعة التى يملكها على الشاطىء . كان قد أعدها سرا لاستقبال الغزاة . وفى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين تلقى عمدة القرية الســيد « أوردن » بلاغا من الكولونيل « لانسر » قائد القوة المحتلة يخطره فيه أنه سيكون فى مكتبه الساعة الحادية عشرة تماما ..

(يأخذ الستار فى الارتفاع رويدا رويدا عن مكتب العمـــدة فى داره ... غرفة واســعة عتيقــة الطراز ، حوائطها مجللة بالخشب وأثاثها كله داكن اللون . الكراسى قديمة ضخمة مرتبة فى الجوانب وأمام مكتب العمدة الكبير فى الصــدر ، الى يمين المكتب مدفأة كبيرة نارها خابية تكاد تنطفىء . فوق رف المدفأة تماثيــل قديمة تتوســطها ســاعة ضخمــة عتيقة الطــراز محلاة بتماثيــل وزخارف معــدنية كثيرة . الجزء الأعلى من حوائط الغرفة مغطى بورق حائط داكن اللون فيــه رســوم بماء الذهب . بعض لوحات كبــيرة على الحــوائط .

الدكتور وينتر *Winter* **جالس الى جانب الدفاة ، تبدو على وجهه الوقور الهادىء ملامح الاضطراب والقلق ، يده تنقر على ركبته فى حالة عصبية . الخادم چوزيف واقف على مقربة منه . الدكتور وينتر يرفع اليه رأسه ليوجه اليه كلاما أكثر من مرة ، ولكنه يعود فيصمت .. المتحدث يترك مكانه ويخترق المسرح فى هدوء وهو ينظر الى وينتر وچوزيف ، ثم يختفى)**

(ينظر وينتر الى ساعة الحائط ثم يقول)

وينتر : الساعة الحادية عشرة ؟

چوزيف : أجل .. هكذا قال الكولونيل فى مذكرته .

وينتر : هل قرأت تلك المذكرة ؟

چوزيف : لا يا سيدى .. قرأها لى السيد العمدة .

(ينظر الى الكراسى وقطع الأثاث ويحرك بعضها ليضعه فى مكانه المخصص له تماما . فى يده قطعة من القماش يزيل بها ما عسى أن يجده من غبار . يؤدى عمله فى دقة واهتمام . الدكتور وينتر ينهض ويحرك كرسيه قليلا عن موضعه . چوزيف ينظر الى تلك الحركة فى استياء . ثم يسارع الى اعادة الكرسى الى موضعه)

وينتر : لابد أن يكونوا هنا فى الســاعة الحادية عشرة تماما . انهم قوم يعيشون كالساعة ..

(چوزيف لايصغى الى ما يقوله وينتر ، ويقول)

چوزيف : أجل يا سيدى ..

وينتر : انهم كالساعات .. أو كالآلات ..

چوزيف : نعم يا سيدى ..

وينتر : انهم يسرعون الى حتفهم .. كأنهم يخشون أن يفلت منهم .. انهم يقتحمون الدنيا بمناكبهم ..

چوزيف : بالضبط كما تقول يا سيدى ..

(چوزيف يقف ساكنا لحظة . ملامح وجهه تدل على أنه لم يفهم شيئا مما قاله الدكتور . تدخل « آنى » *(Annie)* الخادمة من باب غرفة النــوم على اليمين . يسرع اليهــا چوزيف ، ثم يقول لها فى صوت منخفض)

آنى .. مامعنى مايقوله الدكتور من أن أولئك الناس يعيشــون كالساعات ؟.. اننى لا أفهم أبدا اشاراته تلك .. هل تفهمين أنت ؟

(آنى تنظر اليه طويلا ثم تقول)

آنى : ناس كالساعات ؟ من هم ؟

چوزيف : أولئك الذين حلوا ببلدنا كالقضاء ..

آنى : آه .. وما العلاقة بينهم وبين الساعات ؟

(چوزيف ينصرف عنها يائسا)

وينتر : آنى .. ماذا يعمل العمدة ؟

آنى : يرتدى ملابسه ليقابل الكولونيل ..

وينتر : ولماذا لا تعاونينه على ارتدائها ؟.. أنت تعرفين أنه لن يستطيع ارتداء ملابسه وحده ..

آنى : السيدة حرمه تعاونه .. انها تريد أن يبدو فى أحسن هيئة ممكنة . انها تهذب له شعره ..

چوزيف : عملية لم أستطع أداءها أبدا !

(آنى تدخل الحجرة ثانيا . وينتر يقف أمام المدفأة ووجهه اليها ليدفىء يديه)

وينتر : اننا لشعب عجيب .. البلد يحترق والمحتل يستعد لاملاء شروطه علينا .. وحرم العمدة تهذب شعره !

(چوزيف يهز كتفيه ويقول)

چوزيف : هذا هو مبدؤها .. انها تصر على أن واجبها الأول هو أن يبدو السيد العمدة فى أحسن هيئة فى مثل هذه المناسبات .. لقد قضت نصف ساعة تهذب له شعر حاجبيه .. بالمقص .. تصور .. بالمقص !

(يسمع وقع خطوات عسكرية فى الخارج . ترى من خلال زجاج النافذة خوذات جنود يسيرون فى اتجاه الباب . يسمع نقر على الباب. الدكتور وينتر ينظر الى الساعة)

وينتر : الحادية عشرة تماما .. ناس مضبوطون .. افتح الباب يا چوزيف .

(چوزيف يذهب الى الباب ويفتحه . يدخل جندى مرتديا معطفا عسكريا طويلا ، على رأسه خوذة فولاذية ويحمل مدفعا رشاشا صغيرا تحت ابطه . ينظر للجميع نظرة سريعة ثم يأخذ مكانه الى جانب الباب . يظهر خلفه الكابتن بينتك . درجته عادية : النجوم على كتفه فقط، لا على ذراعه . يدخل الضابط ويتقدم الى الدكتور وينتر)

بينتك : هل أنت عمدة البلد السيد أوردن ؟

وينتر : لا .

بينتك : فأنت موظف اذن ؟

وينتر : لا ! أنا طبيب البلد وصديق العمدة .

بينتك : أين العمدة السيد أوردن اذن ؟

وينتر : يرتدى ملابسه ليستقبلك .. هل أنت الكولونيل ؟

بينتك : لا . أنا الكابتن بينتك .

(ينحنى كل منهما للآخر)

تقضى تعليماتنا العسكرية بأن نبحث عن الأسلحة قبل أن يدخل القائد الغرفة ، وهذا لا يعنى قلة الاحترام ..

(ينظر الى الجندى خلفه ويقول)

سيرچنت !

(يتقدم الجندى الى چوزيف ويمر بيديه فوق ملابسه متحسسا اياها بحثا عن أسلحة ، ثم يقول)

الجندى : لا شىء .

(بينتك يلتفت الى الدكتور وينتر ويقول)

بينتك : أرجو المعذرة .

(يتقدم الجندى الى الدكتور وينتر ويمر بيديه على ملابسه . يقف فى تفتيشه عند جيب المعطف الداخلى . يمد يده فيه فيخرج علبة جلدية صغيرة. يناولها للكاپتن بينتك . يفتحها بينتك ويقول)

أدوات جراحة عادية .

(يعيد العلبة الى الدكتور وينتر)

وينتر : أنت ترى أننى طبيب ريفى . لقد اضطررت ذات مرة الى أن أجرى عملية الأعور بسكين مطبخ ، ومنذ ذلك الوقت وأنا أحمل معى هذه الأدوات ..

بينتك : أنا أعتقد أنه توجد هنا أسلحة نارية ..

(يفتح كتابا ذا غلاف جلدى يحمله فى جيبه)

وينتر : أنت دقيق !

بينتك : نعم . كان «رجلنا» فى هذه الناحية يمهد الطريق لنا من زمن ..

وينتر : لا أظن أنك تستطيع أن تخبرنى من هو ..

بينتك : ان عمله انتهى الآن ، لا أظن أن هناك ضررا ما فى اخبارك به . اسمه كوريل ..

وينتر (مندهشا) چورچ كوريل ؟ ! كيف ؟ يبدو أن هذا مستحيل. لقد عمل خيرا كثيرا لهذا البلد . لقد منح الفائزين فى مباراة الرماية جوائز هذا الصباح ..

(يسكت لحظة ويبدو على وجهه أنه فهم الموضوع كله . يهز رأسه فى أسف ثم يقول فى صوت عميق متئد)

آه ! الآن أنا فهمت.. لهذا أقام مباراة الرماية! فهمت .. ولكن ، چورچ كوريل ؟ ! هذا مستحيل ..

(يفتح باب الى اليسار ويدخل العمدة السيد أوردن مرتديا ملابس الصباح الرسمية . قلادته حول عنقه . له شارب أبيض كبير . حواجبه بيضاء كبيرة كشاربه . شعره الأبيض حسن الترتيب . تقف خلفه زوجه . صغيرة الحجم . فى وجهها تجاعيد كثيرة ، وفى نظرتها

كثير من القسوة • ترى زوجها يعبث بأصبعه
في أذنه فتنزلها الى جانبه كأنها أم)

زوج العمدة (للدكتور وينتر) : لم يدعنى أهذب له حواجبه•

وينتر (ساخرا) : هذا شيء مؤلم يا سيدتى ••

زوج العمدة : يسرنى أنك هنا يا دكتور • كم تظن عدد
من سيأتى منهم هنا ؟

(تلتفت فترى الضابط بينتك ، فتقول مندهشة)
آه •• الكولونيل ؟

بينتك : لا يا سيدتى • اننى أمهد الطريق للكولونيل
فقط ••

(يلتفت الى الجندى ويشير اليه اشارة خاصة
ويقول آمرا)
سيرچنت !

(كان الجندى فى هذه اللحظة منصرفا الى
البحث فى نواحى الحجرة عن الأسلحة • يسرع
الى العمدة ويمر بيده على ملابسه • بينتك يقول)
معذرة يا سيدى • انها الأوامر ••
(يفتح دفتره الصغير وينظر فيه ثم يقول)

سيدى ! أظن أن لديكم أسلحة نارية هنا :
قطعتين على ما أظن ...

العمدة : أسلحة نارية ؟ تعنى بندقيات ؟ عندى بندقية عادية وبندقية صيد.

(يسكت لحظة ثم يقول)

اننى لا أصيد كثيرا ، لم تسمح لى ظروفى أبدا بهذه المتعة

(يحك ذقنه ويبدو مفكرا لحظة ثم يقول لزوجه)
أليست البندقيتان معلقتان مع عصا المشى فى حجرة النوم؟

زوج العمدة : نعم. ولهذا أصبحت رائحة الملابس فى الدولاب كرائحة زيت التشحيم . أرجو أن تضعها فى مكان آخر .

بينتك : (للجندى آمرا) : سيرچنت !

(يسرع الجندى الى غرفة النوم)

معذرة . اننى أعترف أن هذا عمل بغيض .
أنا آسف !

(يعود الجندى بالبندقيتين ويركنهما الى الحائط الى جانب باب الدخول)

هذا ما كنت أبحث عنه • شكرا يا سـيدى ••
شكرا يا سيدتى ••

(يتجه الى الدكتور وينتر وينحنى له ويقول)
شـكرا يا دكتور •• الكولونيـل « لانسر »
سيكون هنا حالا • طاب صباحكم ••

(يخرج • يتبعه الجنـدى بالبنـدقيتين فى يد ،
والبندقية الرشاشة فى اليد الأخرى)

زوج العمدة : حسبت أول الأمر أنه الكولونيل • انه شـاب
جميل ••

وينتر (ساخرا) : لا • هو حارس للكولونيل فقط •

زوج العمدة : لا أدرى كم ضابطا منهم سيأتى الى هنا ••

(چوزيف يسـتمع باهتمام • زوج العمـدة
تحـدجه بنظرها فى حزم • يخجـل ويأخذ فى
تنظيف الكراسى)

(وينتر يسـير متمهلا ويجلس على كرسى وهو
يقول بهدوء)

وينتر : لا أدرى ••

زوج العمدة : اننى أسأل فقط لأنى لا أدرى ان كنا نقدم لهم

شايا أو نبيذا . فاذا كنا سنقدم شيئا فلا بد أن أعرف عددهم ، والا فماذا سنفعل اذن ؟

وينتر (يهز رأسه باسما) : لا أدرى .. مضى زمن طويل دون أن نغزو أحدا أو يغزونا أحد ، لهذا لا أعرف بالضبط ما ينبغى أن يفعله الناس فى هذا الظرف .

العمدة : لا أظن أننا ينبغى أن نفعل شيئا من ذلك . لا أظن أهل البلد يرضون عن هذا . لا أريد أن أشرب خمرا معهم ، لا أدرى لماذا ...

زوج العمدة (للدكتور وينتر) : ألم يكن الناس ــ أعنى المحاربين ــ يفعلون ذلك فى الماضى ؟ كانوا يحيى بعضهم بعضا بشرب النبيذ معا ..

وينتر : بلى ، كانوا يفعلون . ولكن هذا شيء آخر . كان الملوك والأمراء يلهون بالحرب كما يلهو الناس الآن بالصيد : اذا صادوا ثعلبا اجتمعوا ليأكلوا لحمه معا . ولكن ربما كان السيد العمدة على حق ، فقد لا يحب الناس منه أن يشرب نبيذا مع الغزاة .

زوج العمدة : كيف ؟ ان الناس يستمعون الآن الى موسيقى

هؤلاء الغزاة الحربية ــ هكذا أخبرتنى « آنى »
ومن ثم فلا أرى معنى لاعتراضهم على تقليد
قديم كهذا ..

(العمدة ينظر الى زوجته طويلا ثم يقول)

العمدة : عزيزتى ! اننا لن نشرب معهم نبيذا .. ان
الناس الآن فى حيرة من أمرهم . لقد عاشوا
زمنا طويلا جدا فى ظلال السلام ، حتى
ما عادوا يصدقون أن هناك شيئا اسمه
الحرب . ولكنهم سيعلمون الآن ، وهنا
ستتلاشى حيرتهم .. لقد انتخبونى لأتولى
أمورهم ، ولهذا لاينبغى أن يتملكنى الاضطراب
الآن . لقد صرع ستة من شبان القرية هذا
الصباح ، وليس فى نيتنا أن نقيم وليمة صيد
على أجسادهم .. ان الشعوب لا تخوض
الحرب الآن للتسلية .

يدخل جوزيف ويناول العمدة فنجانا من القهوة .
يشربه شارد اللب كالذاهل . يقول لجوزيف)

شكرا . ينبغى أن أرى الأمر بوضوح . هل
تظن أن عدد الغزاة كبير ؟

وينتر : لا أظن أن عددهم يزيد على مائتين وخمسين .
ولكنهم جميعا مسلحون بهذه البندقيات الصغيرة
الرشاشة .

العمدة (وهو يشرب القهوة) : وكيف الحال فى بقية
البلاد ؟ هل كانت هناك مقاومة فى أى ناحية ؟

(الدكتور يهز كتفيه كأنه يقول : من يدرى ؟)

وينتر (يهز كتفيه) : لا أدرى . ان الأسلاك مقطوعة
أو استولى عليها العدو . ليست لدينا أخبار ..

العمدة : وشبابنا ؟ جنودنا ؟

وينتر : لا أدرى !

(چوزيف يتدخل فى الحديث بعد تردد)

چوزيف : سمعت .. آنى سمعت ..

العمدة : ماذا سمعت يا چوزيف ؟

چوزيف : قتل ستة رجال ياسيدى بالمدافع الرشاشة ،
وسمعت « آنى » أن ثلاثة آخرين جرحوا أو
أسروا .

العمدة : ولكن عددهم كان اثنى عشر !

چوزيف : « آنى » سمعت أن ثلاثة منهم هربوا .

العمدة (مهتما) : من الذين هربوا منهم ؟

چوزيف : لا أدرى يا سيدى • « آنى » هى التى تعرف ذلك ••

زوج العمدة (لچوزيف) : چـوزيف ! عنـد ما يأتون ، قف قريبا من الجرس فى حجرتك فقد نحتاج شيئا • والبس بذلتك الأخرى ذات الأزرار • وعندما تفرغ مما تعمـله الآن اخرج من الحجرة ، لأن وقوفك وانصاتك الى الكلام هنا أمر مستهجن• ان ذلك من طبائع أهل الريف ••

چوزيف : سمعا يا سيدتى •

زوج العمدة : لن تقدم لهم نبيذا • ولكنك تستطيع أن تضع بعض السجائر فى هذه العلبة الفضية •

(العمدة يفتح چاكتته ويخرج ساعته وينظر فيها ويعيدها • يعيد احكام أزرار بذلته فيخطىء فى ذلك • تذهب اليه زوجته فتصلحها ••)

وينتر : كم الساعة الآن ؟

العمدة : الحادية عشرة الا خمس •

وينتر : قوم عقولهم كالساعات •• سيكونون هنـا فى

الوقت المحدد. أتريد أن أذهب عندما يأتون ؟

العمدة : (منزعجا بعض الشيء) : تذهب ؟ لا ، لا ..
انى خائف بعض الشيء .. لست خائفا ، لكننى
مهتاج قليلا (بشعور من الألم) ان أحدا لم
يغزنا منذ زمن طويل ..
(تسمع موسيقى عسكرية من الشارع وعلى
نغماتها وقع أقدام ثقيلة . الجميع يصمتون
ويصغون)

زوج العمدة : هؤلاء هم آتون .
(الموسيقى تعلو شيئا فشيئا ، ثم تخفت ويبعد
مصدرها . يسمع نقر خفيف على الباب)
من يكون هذا ؟ قل له أن يعود بعد قليل
يا چوزيف . نحن مشغولون الآن .
(يعود النقر على الباب . چوزيف يفتح .
يبدو جندى ذوخوذة فولاذية على الباب ويقول)

الجندى : الكولونيل لانسر يرجو مقابلة السيد العمدة .
(چوزيف يفتح الباب تماما . الجندى يدخل
بنظام ويقف وقفة عسكرية ثم يهتف معلنا)
الكولونيل لانسر !

(يدخل الكولونيل لانسر . علاماته العسكرية
على كتفه فقط . يدخل خلفه « كوريل » فى
ملابس مدنية سوداء . الكولونيل لانسر يرفع
خوذته بسرعة وينحنى أمام العمدة ويقول)

لانسر : سيدى !

(ثم ينحنى أمام زوج العمدة ويقول)

سيدتى !

(ويلتفت الى جاويشه ويقول)

اقفل الباب يا جاويش .

(چوزيف يسبق الجاويش الى اقفال الباب
وينظر الى جاويش الكولونيل نظرة المنتصر .
لانسر ينظر الى الدكتور قليلا فيقول العمدة)

العمدة : هذا هو الدكتور وينتر .

لانسر : موظف ؟

العمدة : طبيب ، ومؤرخ القرية .

(لانسر يلتفت نحو كوريل ويقول)

لانسر : أظنكم تعرفون السيد كوريل ..

العمدة : چورچ كوريل ؟ بالطبع ! كيف حالك ياچورچ؟
(وينتر يقول مقاطعا ، وبصوت ثابت فيه شيء
من الغضب)

وينتر : سيدى العمدة ! ان صديقنا چورچ كوريل قد
مهد الطريق لغزو بلدنا .. هذا المحسن چورچ
كوريل أرسل جنودنا الى التلال ليسهل على العدو
الاستيلاء على القرية .. ضيفنا على الطعام هذا
الصباح چورچ كوريل قدم للغزاة قائمة بكل
سلاح فى البلد .. صديقنا چورچ كوريل !

كوريل : انى أعمل فى سبيل ما أعتقد . هذا أمر مشرف !
(العمدة يفتح فمه دهشا وتبدو فى عينيه علامات
العجب الشديد . وينقّل نظره فى حيرة من
وينتر الى كوريل ويقول منكرا)

العمدة : هذا غير صحيح ياچورچ ! هذا لايمكن أن يكون
صحيحا ! لقد جلست على مائدتى .. لقد شربت
نبيذا معى .. كيف ؟.. لقد عاونتنى فى وضع
مشروع المستشفى ! هذا غير صحيح !

(العمدة وكوريل ينظران أحدهما للآخر بعيون
مفتوحة . ثم ينقبض وجه العمدة وتبدو عليه

أمارات العزم ويلتفت الى الكولونيل ويقول)
لا أريد أن أتكلم فى حضرة هذا الرجل !

كوريل : ان لى الحق فى أن أكون حاضرا . انى جنـدى كالآخرين ، جندى فى زى مدنى ..

العمدة : لا أريد أن أتكلم فى حضرة هذا الرجل !

لانسر : هل تتفضل بتركنا وحدنا يا سيد كوريل ؟

كوريل : ان لى الحق فى أن أكون هنا .

لانسر : أرجو أن تتفضل بتركنا الآن يا سـيد كوريل . هل تريد أن تكون أعلى منى ؟

(كوريل يخرج غاضبا . ينظر اليه وينتر . يفتح الباب وتطل آنى برأسها وعلى وجههـا علامات الذعر ، وتقول بصوت أقرب الى الصياح)

آنى : هناك جنـود كثيرون عند الباب الخلفى . انهم واقفون هناك ..

لانسر : انهم لن يدخلوا . ذلك مجرد اجراء عسكرى .
(زوج العمدة تلتفت الى آنى وتقول لها بصوت هادىء فيه شىء من الغضب)

زوج العمدة : آنى ! ان كان عنـــدك ما تقولينـــه فكلفى جوزيف بذلك .

آنى : انهم لا يحاولون الدخول ، ولكنهم يتشـــممون رائحة القهوة من باب المطبخ ..

زوج العمدة (منتهرة) : آنى !..

آنى : سمعا يا سيدتى (تختفى)

لانسر : أتسمحون أن أجلس ؟ لنا زمن طويل لم ننم ..

العمدة : طبعا .. تستطيع أن تجلس .

(يجلس لانسر وتجلس السيدة . العمدة لا يزال واقفا فى حالة عصبية يبدو فيها عدم اطمئنان)

لانسر : ينبغى أن نصفى هذا الأمر بأسرع مايمكن. ترون سيادتكم أن مهمتى هنا عملية صرفة . اننا بحاجة الى منجم الفحم ومصايد السمك هنا . نريد أن نصفى هذه المسألة بأقل ما يمكن من الاحتكاك .

العمدة : ليست لدى أخبار عما وقع فى بقية البلاد .

لانسر : استولينا عليها كلها . كانت الخطة محكمة .

العمدة : ألم تكن هناك مقاومة ما ؟

لانسر : أرجو ألا يكون قد حدث شىء من ذلك • كانت هناك بعض المقـاومة ، ولم ينجم عنها الا اراقة الدم • لقد وضعنا خطتنا باحكام •

العمدة : اذن كانت هناك مقاومة ؟

لانسر : نعم • ولكن المقاومة كانت حماقة قضينا عليها فى الحال كما حدث هنا • لم تكن المقاومة من الحكمة• كانت أمرا محزنا •

وينتر : ولكنه وقع على كل حال ••

لانسر : ان الذين قاوموا كانوا قليلين ، وقد انتهى أمرهم• ان الشعب فى مجموعه شعب هادىء •

وينتر : ان الشعب لا يدرى الى الآن ماهية ما حدث •

لانسر : انهم يتبينون الآن أن الأحسن لهم ألا يتهـوروا من جديد

(يسكت لحظة • يسـعل • يغير لهجة حديثه ويقول)

والآن يا سيدى ينبغى أن أعود الى الحديث فى موضـوع مهمتى • اننى متعب جدا ، ولكن ينبغى أن أفرغ من كل شىء ، قبل أن أنام •

(يعتدل فى كرسيه وينحنى الى الأمام ويقول)
انى مهندس أكثر منى جندى • ان الأمر كله هنا مهمة هندسية لا مسألة غزو : لا بد أن يستخرج الفحم ويشحن فى السفن • ان معنا مهندسين ، ولكن أهل هذا الموضع ينبغى أن يستمروا فى العمل فى المنجم • هل هذا واضح ؟ اننا لا نحب أن نلجأ الى العنف •

العمدة : أجل ، ذلك واضح • ولكن لنفرض أن الناس لا يريدون أن يعملوا فى المنجم ••

لانسر : أرجو ألا يفكروا فى ذلك • انهم لا بد أن يعملوا ، لأننا نريد الفحم •

العمدة : ولكن •• اذا لم يريدوا ؟

لانسر : لا بد أن يعملوا • انهم قوم عقلاء لا يطلبون المتاعب •

(ينتظر رد العمدة لحظة ، ولكن العمدة لا يقول شيئا ، فيقول لانسر)
هل سيتم ذلك ؟

العمدة : لا أدرى يا سيدى • انهم مطيعون لحكومتهم ،

ولكنى لا أعـرف ان كانوا سـيكونون كذلك
لحكومتك .. أنت ترى أن هذه أرض لم يمسها
أحد . لقد قمنا بحكم أنفسنا أحسن قيام خلال
أربعة قرون .

لانسر : نحـن نعـرف ذلك ، وليس فى نيتنـا أن نمس
حـكومتكم . ستكون عمـدة دائما كما أنت .
ستستمر فى اعطاء أوامرك . ستعاقب وستثيب .
ولهذا نرجو ألا يحدث الجمهور شغبا .

(يلتفت العمدة الى الدكتور وينتر ويسأله)

العمدة : ما رأيك فى ذلك ؟

وينتر : لا أدرى . تشوقنى معرفة ما ذا سـيحدث ، اذ
ربما كان قومنا عنيدين ..

العمدة : وأنا أيضا لا أدرى

(يلتفت الى الكولونيل ويقول)

أيها السـيد ! اننى من هذا الشـعب ، ومع
هذا فأنا لا أدرى ماذا سيصنعون . ربما عرفت
أنت ! وقد يكون الأمر على خلاف ما نظن وما
تظن ، فهناك شـعوب تطيع من يفرض عليها من
الحـكام ، ولكن شعبى هذا تعـود أن ينتخب

حكامه . لقد انتخبونى .. وهم يستطيعون أن يعزلونى . وربما فعلوا ذلك اذا رأوا أننى انضممت اليكم . أنا لا أدرى ..

لانسر : اذا أخذتهم بالتزام النظام فانك تقدم اليهم خدمة كبرى .

العمدة (مستنكرا) : خدمة ؟

لانسر : نعم خدمة . من واجبك أن تحميهم مما يضرهم، وسيكونون فى خطر اذا أصروا على الثورة . أنت ترى أنه لابد لنا من الحصول على الفحم . قادتنا لا يقولون لنا كيف نستطيع أن نفعل ذلك ، ولكنهم يأمروننا بتنفيذه . وأنت رئيس هذه القرية وينبغى عليك حماية أهلها ، فلا بد من أن تجعلهم يقومون بالعمل، وبهذا يبقى لهم أمانهم .

العمدة : ولكن .. لنفرض أنهم لا يريدون أن يكونوا آمنين ؟

لانسر : فى هذه الحالة ، عليك أنت أن تريد لهم .

العمدة (بلهجة فخر) : ان قومنا لا يحبون أن يفكر لهم غيرهم . ربما كانوا على خلاف قومك .. انى فى حيرة . ولكنى واثق من ذلك .

(يدخل چوزيف مسرعا ويقف مســتعدا للكلام حين يؤذن له • زوج العمدة تلتفت اليه وتقول)

زوج العمدة : ماذا ياچوزيف ؟ قدم السجائر ••

چوزيف : معذرة يا سيدتى •• معذرة يا سيدى ••

العمدة : ماذا تريد ؟

چوزيف : آنى غاضبة غضبا شديدا •

زوج العمدة : لمــاذا ؟

چوزيف : انها لا تطيق وقوف الجنود عند الباب الخلفى •

لانسر : هل يسببون لها متاعب ؟

چوزيف : انهم ينظرون اليها من خلال الباب ، وهى تكره ذلك •

لانسر : انهم ينفذون الأوامر ، ولكنهم لايضرون أحداء

چوزيف : آنى تكره أن يحملق فيها أحد •

زوج العمدة : چوزيف ! قل لآنى أن تحترس •

چوزيف : سمعا يا سيدتى (يخرج)

(لانسر عيناه نصف مغلقتين من التعب ، يقول)

لانسر : ومسألة أخرى •• هل من الممكن أن أقيم وهيئة قيادتى هنا ؟

العمدة (يفكر لحظة) : هذا مكان ضيق . فى القرية أماكن أوسع وأوفر راحة .

(چوزيف يدخل . يقدم السجائر للكولونيل ويشعل له السيجارة. الكولونيل ينفخ الدخان براحة وبطء)

لانسر : ليس الأمر أمر راحة ، ولكننا لاحظنا أنه حينما تقيم القيادة تحت سقف الادارة المحلية يكون ذلك أضمن للسكينة .

العمدة : أتظن أنهم يفهمون من ذلك أن هناك نوعا من التعاون بين الادارة المحلية وبينكم ؟

لانسر : نعم ، أظن ذلك .

(أوردن ينظر نظرة حيرة الى وينتر . وينتر يكتفى بابتسامة جافة)

العمدة : هل يسمح لى برفض هذا الطلب ؟

لانسر : أنا آسف . هذه أوامر القيادة العليا .

العمدة : الناس هنا لا يحبون ذلك .

لانسر : الناس دائما ؟ ان أولئك الناس عزل من السلاح الآن ..

العمدة (يهز رأسه) : هل أنت متأكد ؟

(يسمع صياح امرأة وصـــوت ضربة ثم صياح رجل • يدخل چوزيف)

چوزيف : انها تلقى عليهم ماء ســاخنا •• انهــا فى غاية الغضب •

(ضجيج وأصوات خلف الباب • ينهض لانسر ويتجه نحو أوردن) :

لانسر : أليس لك سلطان على خدمك يا سيدى ؟

العمدة : قليل جدا •• انها طباخة ماهرة جدا فى ساعات صفوها (لچوزيف) هل أصيب أحد ؟

چوزيف : الماء يغلى ياسيدى •

لانسر : نحن لا نريد أكثر من أداء مهمتنا • انها مهمـــة هندسية • عليك أن تحكم طباختك •

العمدة : لا أستطيع ، انها تترك خدمتى اذن •

وينتر : وستستمر فى القاء الماء •

(يفتح الباب ويظهر جندى)

الجندى : هل ألقى القبض على هذه المرأة ؟

لانسر : هل أصيب أحد بضرر ؟

الجندى : شتمتنا وعضت واحدا منا . لقد قيدناها .

(ضيق الصدر واليأس يبدوان على وجه لانسر ، يقول)

لانسر : أطلق سراحها واخرجوا خارج الباب .

الجندى : سمعا

(يخرج ويغلق الباب)

لانسر : كنت أستطيع أن آمر بقتلها أوبابقائها فى القيد .

العمدة : فى هذه الحالة يظل البيت بدون طباخة .

لانسر : أصغ الى . ان الأوامر التى لدى تقضى بضرورة التعاون بيننا وبين الأهالى هنا .

زوج العمدة : معذرة يا سيدى . لا بد أن أرى ان كان شىء قد أصاب آنى (تخرج)

لانسر : قلت لك اننى متعب جدا يا سيدى . لا بد أن أنام قليلا . أرجوك أن تتعاون معى ، فذلك فى صالحنا معا .

(العمدة لا يجيب . لحظة صمت)

.. لخير الجميع . هل أنت فاعل ؟

العمدة : ان هذا بلد صغير . الناس فى حيرة من أمرهم ، وأنا كذلك .

لانسر : ولكن .. ألا تريد أن تحاول أن تتعاون ؟

العمدة : لا أدرى . ربما قبلنا ذلك اذا استقر رأى الناس عليه ..

لانسر : ألست صاحب السلطان هنا ؟

العمدة (مبتسما) : أنت لا تريد أن تصدق ما أقول ، ولكنه صحيح . ان السلطة هنا فى يد الناس . لا أدرى كيف ، ولا لماذا ، ولكن الأمر كذلك. نحن لا نستطيع أن نعمل بالسرعة التى تعملون بها ، ولكنا اذا قررنا أمرا فلا بد أن نقرره جميعا ..

لانسر (متعبا) : أرجو أن نستطيع أن نسير معا . سأكون سهلا جدا مع كل الناس . أرجو أن يكون فى استطاعتنا الثقة فيك . لا أريد أن أفكر فى الوسائل التى يلجأ اليها رجال الجندية لاقرار النظام .

(العمدة يظل صامتا)

أرجو أن يكون فى استطاعتنا أن نعتمد عليك .

(العمدة يضع أصبعه فى أذنه)

العمدة : لا أستطيع أن أعدك بشىء .. لا أستطيع !

ستــــار

المنظر الثانى

(فى الطابق الثانى من دار العمدة . قاعة واسعة هيئتها كهيئة المنظر الأول تماما . كانت هذه القاعة غرفة جلوس للعمدة وحولت الآن الى مركز قيادة للكولونيل لانسر قائد قوة الاحتلال . أثاث الغرفة يشبه أثاث المنظرالأول . قطع الأثاث ضخمة قديمة الطراز . فى الصدر مدفأة كبيرة من الطوب الأحمر القاتم اللون ، وقد وضعت فوقها تماثيل وصور . على اليمين خمسة ضباط ، اثنان منهم واقفان وثلاثة جلوس ، يتحدثون فيما بينهم . فى الصدر ، الى جانب المدفأة ، منضدة صغيرة جلس اليها ضابط يكتب وأمامه بينتك وتندور . الى اليمين منضدة كبيرة جلس اليها نفر من الضباط يتحدثون ، من بينهم پراكل . بعضهم يعمل وأمامه أوراق . الغرفة مضاءة بمصابيح كهربائية صغيرة معلقة فى السقف ومدلاة بخيوط طويلة . الضوء ينخفض بين الحين والحين . يسمع صوت موتور فى الخارج . يرفع الستار رويدا رويدا . المتحدث يغادر مكانه ويسير فى المنظر مستمرا فى حديثه مشيرا بيده)

المتحدث : هذا هو الميجر هنتر يضع الرسوم الهندسية ويجرى عملياته الحسابية ... وهذا هو الكاپتن بينتك يفكر فى حياته السعيدة قبل الحرب ..

وهذا هو لوفت ضيق الصدر يتسلى بالحديث مع پراكل وهنتر •

(المتحدث يختفى) •

هنتر : پراكل ! لفتنانت پراكل !

(پراكل يدخل ووجهه مغطى بصـابون الحلاقة وفى يده ماكينة الحلاقة)

پراكل : نعم •

هنتر : ألم تعثر على لوحة الرسم ؟

پراكل : لم أبحث •• لا أدرى ان كانت بين الأشياء •

هنتر : حسـنا • ابحث الآن ، أرجوك • ان الرسم فى هذا الضـوء متعب • ينبغى أن أرسم المشروع مرة أخرى قبل أن أحبره •

پراكل : سأبحث بعد أن أفرغ من الحلاقة مباشرة •

هنتر (محتدا) : هذا الرسم أهم من تجملك •• انظر اذا كانت هنـاك لفة من الخيش هيئتهـا كهيئة ربطة عصى الجولف هناك فى الركن •

(پراكل يخرج • يدخل لوفت مرتديا خوذته • منظاره المكبر يتدلى من كتفه مع أشياء أخرى

تتدلى بسيور من الجلد . يبدأ فى خلع ذلك كله حال دخوله)

لوفت : أتعلمون أن بينتك قد جن ؟ لقد رأيتـه الآن خارجا للعمل بغطاء رأس عادى . رأيته هكذا فى الشارع !

هنتر : أرجوك . لا تضـع هذه الأشـياء هنا ، اننى سأعمل هنا . لماذا لايخرج للعمل عارى الرأس؟ ليس هناك ما يمنع من ذلك . لم يحدث فى البلدة أى شغب . ثم ان هذه الخوذة الفولاذية تضايق وتمنع من الرؤية .

بينتك : ان خلعها عادة سيئة وله تأثير سيىء فى نفوس الناس هنا. لابد أن نظل فى مستوانا العسكرى. لابد أن نبقى على حالة استعداد لا نفارقها . ان اهمال ذلك مجلبة للاضطراب .

هنتر : ماذا يجعلك تفكر هكذا ؟

بينتك : أنا لا أفكر فى ذلك . انما أنا قرأت فقـط نص المادة ١٢ الخاصة بنظام الجنود فى البلاد المحتلة. انها موضوعة بعناية .

(يبدأ فى تلاوة نص المادة غيابيا)
ينبغى عليك ...

(يتوقف ويقول)

.. على كل واحد منا أن يقرأ نص المـادة ١٢ بعناية .

هنتر : اننى لأسأل نفسى ان كان هذا الذى وضع هذه المـادة عاش يوما من حياته فى أرض محتلة .. ان الناس هنا يبدو عليهم أنهم طيبون .. قوم مطيعون .

(يدخل پراكل . وجهه نصف مغطى بالصابون . يحمـل لفة طويلة كأن بداخلها عصيا . يدخل خلفه اللفتنانت تندور)

نعم . أرجوك تفتحها وتوقف الحامل .

(پراكل وتنـدور يخرجان الحامل من اللفـة ويوقفانه أمام هنتر . هنتر يثبت لوحته فيـه ويختبر ثباتها)

لوفت : هل تعلم أن وجهك مغطى بالصابون يالفتنانت ؟

پراكل : أعلم ذلك يا سيدى . كنت أحلق حينما أمرنى الميجر بأن أحضر الحامل .

لوفت : يستحسن أن تزيل الصابون توقيرا للكولونيل .

براكل : انه لا يهتم بهذه المسائل ..

لوفت : ربما لم يلاحظها ، ولكن ذلك ليس حسنا على كل حال .

(براكل يخرج منديلا ويمسح به الصابون . تندور واقف خلف هنتر وهو يرسم . يشير الى الرسم ويقول)

تندور : هذه قنطرة جميلة يا ميجر . ولكن .. فى أى مكان من هذه الدنيا ستقيم قنطرة ؟

(هنتر يلتفت الى تندور خلفه ويقول)

هنتر : هذه ليست قنطرة عسكرية.. هذا شيءآخر.. المشروع الرسمى تجده هنا

(مشيرا الى لفة أخرى)

تندور : وما شأن هذه القنطرة اذن ؟

هنتر : انها شيء خاص . فأنت تعلم أننى أنشأت خلف منزلى خطا حديديا نموذجيا صغيرا ، واقتضى انشاؤه اقامة قنطرة صغيرة على مجرى ، فرأيت أن أعمل تصميمها الآن .

(پراكل يخرج من جيبه ورقة مطوية. يفتحها .
فيها صورة فتاة شـقراء تنظر من خلال مروحة
سوداء)

پراكل : أليست مدهشة ؟

(تندور ينظر الى الصورة)

تندور : لا تعجبنى .. لماذا تحتفظ بصورتها ؟

پراكل : لأنهـا تعجبنى .. وأراهنك على أنها تعجبك
أنت أيضا ..

تندور : أبدا .

پراكل : هل تريد أن تقول انك ترفض موعدا معها اذا
استطعت ؟

تندور : بالطبع لا ..

(پراكل يذهب بالصـورة ويثبتها بدبوس فى
الحائط)

پراكل : سأعلقها هنا لكى تراها لحظة ..

(لوفت يجمع أشياءه ويقول)

لوفت : لا أظن أن وضعها هنـا من اللائق . يستحسن

أن تنزعها ، ان ذلك يحدث وقعا غير لطيف عند أهل القرية ..

هنتر (ساخرا) : وأى شىء فى نظرك لا يحدث وقعا سيئا ؟

(ينظر الى الصورة)

مَن هذه ؟

پراكل : ممثلة .

(هنتر يتأمل الصورة)

هنتر : هل تعرفها ؟

تندور (مستنكرا) : انها خليعة .

هنتر : فأنت تعرفها اذن ؟

(پراكل يوجه كلامه الى تندور)

پراكل : قل .. من أين تعرف أنها خليعة ؟

تندور : منظرها يدل على ذلك .

پراكل : هل تعرفها ؟

تندور : لا ، ولا أريد .

لوفت : يحسن أن تنزع هذه الصورة . علقها فوق

سريرك اذا أردت ، لأن هذه الغرفة ذات صفة رسمية .

(پراكل يفتح فمه ليرد ولكن لوفت يقاطعه فى شىء من الحزم)

هذا أمر يالفتنانت . ضعها فى جيبك !

(پراكل يرفعها ويطبقها ويضعها فى جيبه)

پراكل : هناك فتيـــات جميلات فى هذه القرية . حينما تستقر الأمور وتسير سـيرها الطبيعى سأتعرف ببعضهن .

لوفت : يحسن أن تقرأ المـــادة ١٢ ففيها تعليمات خاصة بالمسائل الجنسية

(يحمل متاعه ويخرج)

(تندور ينظر من الشباك ويقول)

تندور : هذا حسن . ان عربات الفحم خارجة من المنجم الى السفينة .

هنتر : ينبغى أن نسرع بذلك . لابد أن يستمر شحن الفحم . ان ذلك عمل عظيم ، اننى سـعيد لأن الناس هنا هادئون .

(تندور يعود فينظر من النافذة ويقول)

تندور : انهم هادئون لأننا أيضا هادئون • أظن أننا نستطيع أن نضمن ذلك• لهذا أنا أتمسك بحرفية التعليمات • انها موضوعة وضعا محكما •

(يفتح الباب ويدخل لانسر• يخلع معطفه وهو داخل • الضباط يحيونه تحية ليس فيها كثير من التكلف)

لانسر : كاپتن لوفت ! أرجو أن تذهب وتحل محل بينتك • انه ليس على ما يرام •

لوفت : سمعا • ولكن هل أستطيع أن أقول انى تركت النوبة منذ دقائق فقط ؟

لانسر (فى جفاف) : أرجو ألايضايقك الذهاب ياكاپتن

لوفت : سمعا • انما قلت ذلك مراعاة للتعليمات •

لانسر : ألا تريد أن أشير اليك فى التقارير ؟

لوفت : ليس فى ذلك ما يضر •

لانسر : واذا اجتمع منها عدد طيب ازدان صدرك بنيشان جديد •

(لوفت يحمل أشياءه ويخرج)

تندور (مشيرا اليه) : ولد جنديا ..

هنتر (يضع قلمه) : ولد حمارا !

لانسر : لا ! انه جندى على طريقة رجال السياسة . بعد قليل سيرقى الى الدرجات العليا ويدير الحـرب من بعيد ، ولهذا سيحبها دائما ..

پراكل : متى ستنتهى الحرب ؟

لانسر : تنتهى ؟ . تنتهى ؟ . ماذا تريد ؟

پراكل : أقصد ، متى سنكسب الحرب ؟

لانسر (يهز رأسه) : لا أدرى .. لا زال عـدونا على قدميه ..

پراكل : ولكننا سنقضى عليه .

لانسر : طبعا .

(يبدو الشك فى وجه پراكل)

پراكل : أليس كذلك ؟

لانسر : نعم ، نعم . لهذا نعمل ..

پراكل : فاذا تم ذلك حوالى عيد الميلاد ، هل تظن أنهم يعطوننا اجازة ؟

لانسر : لا أدرى . أمثال هذه الأمور تقرر فى الوطن .
هل تريد أن تذهب الى أهلك فى عيد الميلاد ؟

پراكل : أرجو ذلك .

لانسر : ذلك ممكن .

تندور : هل سنحتفظ بهذه البلاد بعد الحرب ؟

لانسر : لا أدرى .. لماذا تسأل ؟

تندور : لأن هذا بلد جميل ، قوم طيبون . ان رجالنا ـ
بعضهم أقصد ـ ربما قرروا الاستقرار هنا .

لانسر (مازحا) : هل وجدت مكانا يعجبك ؟

تندور : طبعا .. هنا مزارع جميلة ، أستطيع أن آخذ
أربعا أو خمسا منها وأضم بعضها الى بعض ،
فتصير ضيعة عظيمة تدر خيرا كثيرا ..

لانسر : أليس لأسرتك أرض اذن ؟

تندور : لم يعد لنا شيء . قضى عليها تضخم العملة ..
(يبدو على وجه لانسر أنه مل هـذا الحديث
التافه)

لانسر : ولكن ، لا زال علينا أن ننقل الفحم (لهنتر)
هنتر ! ان الصلب اللازم لك يصل غدا .

تستطيع أن تبدأ منشآتك غدا .

(يدخل جندى من الباب ويقول)

الجندى : السيد كوريل يريد أن يقابلكم .

لانسر : أدخله (للضابط) هذا هو الرجل الذى مهد الطريق لنا هنا . ربما سبب لنا متاعب .

تندور : قام بعمل كبير .. وبغيض أيضا .

لانسر : أجل ، ولهذا لن يكون محبوبا من الناس هنا ، ولا أدرى ان كنا نحن سنحبه .

تندور : هو جدير بالثقة من غير شك .

لانسر : وهل تظن أنه لن يطالب بثمن هذه الثقة ؟

(يدخل كوريل وهو يفرك يديه ، وجهه يفيض سرورا وتفاؤلا . يلبس بذلته السوداء . يده معصوبة برباط أبيض)

كوريل : صباح الخير يا كولونيل . كنت أريد المجىء أمس بعد المحادثة ، ولكنى قدرت كثرة مشاغلك ..

لانسر : صباح الخير

(مشيرا الى الضباط)

هؤلاء هيئة ضباطى .

كوريل : شبان زاهرون .. لقد قاموا بعمل عظيم .. لقد عملت على أن أمهد لهم تمهيدا حسنا .

(هنتر يعود الى تحبير رسمه مهملا السيدكوريل وحديثه)

لانسر : لقد قمت بعمل حسن جدا .. كنت أتمنى لو لم يقتل هؤلاء الشبان الستة . هل عاد الهاربون منهم ؟

كوريل (مستخفا) : ستة جنود ؟ هذه خسـارة يسيرة بالنسبة لبلد كهذا فيه منجم فحم ..

لانسر : أنا لا أنكر قتل بعض الناس اذا كان ذلك يؤدى الى الاسـتقرار ، ولكن يستحسن تجنب سفك الدم ما أمكن .

(كوريل ينظر الىالضباط واحدا واحدا ، وهم الآخرون يتأملونه)

كوريل : هل نستطيع أن نتحدث على حدة يا كولونيل ؟

لانسر : طبعا . لفتنانت پراكل ! لفتنانت تندور !.. هل تتفضلان بالذهاب الى حجرتكما ؟ (لكوريل)

الميجر هنتر يعمـل ، وهو عادة لا يسمع شيئا
حينما يكون منهمكا فى العمل •

(هنتر يرفع رأسه ويبتسم ثم يعـود الى عمله •
يخرج پراكل وتندور)

لانسر : ها نحن معا •• هل تتفضل بالجلوس ؟

كوريل : شكرا (يجلس)

(لانسر ينظر الى ذراع كوريل المعصوب)

لانسر : هل حاولوا الاعتداء عليك ؟

كوريل : هذا ؟

(مشيرا الى ذراعه)

لا •• وقع حجر على ذراعى فى الجبل اليوم •

لانسر : هل أنت متأكد أن أحدا لم يلق عليك هذا الحجر ؟

كوريل : ماذا تعنى؟ الناس هنا مسالمون لا يعرفون العنف••
لم يروا حربا منذ مائة عام ، لقد نسوا القتال ••

لانسر : لقد عشت بينهم فأنت أدرى

(يقترب من كوريل)

هذا الشعب يختلف عن أى شعب من شـعوب

العالم . لقد اشتركت فى احتلال بلاد أخرى من قبل ، كنت فى بلچيكا وفرنسا منذ عشرين سنة (يتوقف ويهز رأسه . لحظة صمت . يغير لهجة حديثه)

لقد قمت بعمل طيب جدا ، ونحن مدينون لك . لقد ذكرتك بالخير فى تقريرى ..

كوريل : شكرا يا سيدى . لقد بذلت جهدى ..

لانسر : والآن .. ماذا تستطيع أن تعمل ؟ هل تريد أن تذهب الى العاصمة ؟ تستطيع أن تذهب فى قطار الفحم اذا كنت على عجل ، واذا فضلت الانتظار ذهبت على ظهر سفينة .

كوريل : ولكنى لا أريد أن أفارق هذا المكان . أريد أن أبقى هنا .

لانسر (يفكر لحظة) : أنت تعلم أنه ليس لدى جنود كثيرون ، وأننى لاأستطيع أن أحيطك بحرس ..

كوريل : ولكنى لست فى حاجة الى حراسة . قلت لك ان هؤلاء قوم لا يعرفون العنف ..

(لانسر يتأمل ذراع كوريل المربوط لحظة .

هنتر يرفع رأسه لحظة ويقول لكوريل فى شىء من السخرية)

هنتر : يحسن أن ترتدى خوذة فولاذية •

(يعود الى عمله)

(كوريل ينحنى للأمام فى كرسيه قائلا)

كوريل : أردت أن أتكلم معك بصفة خاصة ، لأنى أظن أننى أستطيع أن أعاون فى ادارة البلد المدنية •

(لانسر يسير الى النافذة وينظر منها ويقول)

لانسر : فيم تفكر ؟

كوريل : أظن أنه لا بد لك من ادارة مدنية تستطيع أن تعتمد عليها ، وأظن أنه من المستحسن عزل العمدة أوردن الآن •• واذن •• (يضحك) اذا توليت أنا وظيفته فانى أستطيع أن أسيرها بما يتفق وأغراض السلطات العسكرية ••

(لانسر يفتح عينيه ويبدو عليه أنه اتتبه • يقترب من كوريل ويسأله ببطء واهتمام)

لانسر : هل ذكرت ذلك فى تقريرك ؟

كوريل (مترددا) : آه . طبيعى .. أقصـــد فى تحليلى للموقف .

لانسر (مقاطعا) : هل تكلمت مع أحد من أهل البـــلد منذ وصولنا ؟ . عدا العمدة طبعا ..

كوريل : لا . ان الناس مذهـــولون بعض الشىء .. لم يكونوا ينتظرون ذلك منى (يبلع ريقه) لم يكونوا يتوقعون ذلك أبدا ..

لانسر : فأنت لا تعرف فيم يفكرون ؟

كوريل : قلت انهم مذهولون .. انهم فى شبه حلم ..

لانسر : أنت لا تعرف رأيهم فيك .

كوريل : ان لى أصدقاء كثيرين هنا . أنا أعرف كل الناس.

لانسر : هل اشترى أحد شيئا من محلك هذا الصباح ؟

كوريل : لا ! لا أحد يشترى أو يبيع ..

(لانسر يسير فى بطء نحو كرسى ويجلس بتؤدة)

لانسر : ان نصيبك من العمل صعب ويحتاج الى شجاعة. لا بد أن تكون مكافأتك عظيمة .

كوريل (بسرور عظيم) : شكرا يا سيدى .

لانسر : سيكرهونك مع الزمن .

كوريل : سأحتمل ذلك . انهم عدونا ..

لانسر : انك لن تحصل حتى على احترامنا .

(كوريل يقفز من كرسيه ، محتجا)

كوريل : هـذا مناقض لكلمـات الزعيم . كل جوانب العمل سواء .

(لانسر يقول وكأنه يكلم نفسه)

لانسر : وددت لو أن الزعيم عرف ! وددت لو أنه عرف ما يدور بخلد الجنود

(فى لهجة تدل على العطف والرثاء)

لا بد أن تكافأ مكافأة عظيمة

(يصمت لحظة ثم يقول)

الآن نريد أن تتكلم بشىء من التحديد. اننى القائم بالأمر هنا. ان عملى هو استخراج الفحم. ولكى أستطيع عمل ذلك لابد لى من النظام والسكون. ولكى أستطيع ذلك ينبغى أن أعرف ما يدور بخلد الناس. لابد أن أتلافى الثورة قبل وقوعها. هل تفهم ذلك ؟

كوريل : حسنا . وأنا أستطيع أن أهيىء لك ذلك . اذا أصبحت عمدة كان لى سلطان عظيم .

(لانسر يهز رأسه)

لانسر : ليست لدى تعليمات خاصة بهذا الموضوع . ولكنى أظن أنك لو أصبحت كذلك لصار من المستحيل عليك معرفة ما يجرى بين الناس. لن يكلمك أحد ، ولن يكون على مقربة منك الا هؤلاء الذين يطلبون المال ، أولئك الذين يعيشون بالمال وحده . ستكون فى خطر من غير حرس . يسرنى أن تذهب الى العاصمة حتى تنال جزاءك على عملك الطيب .

كوريل (محتجا) : ان مكانى هنا يا سيدى . لقد هيأت مكانى بنفسى ، وقد ذكرت ذلك كله فى تقريرى.

(لانسر يستمر فى كلامه كأنه لم يسمع كوريل)

لانسر : ان العمدة أوردن ليس عمدة فقط ، انه الشعب.. الشعب نفسه . انه يعرف ماذا يعرفون وفيم يفكرون دون أن يسأل ، لأنه يفكر مثلهم ، ويكفى أن ألاحظه فأعرف سرائرهم . لابد أن يبقى فى مكانه . هذا رأيى .

(كوريل يقول فى لهجة عصبية)

كوريل : ان عملى ينبغى أن يكافأ بشىء آخر غير الابعاد عن هنا ..

لانسر : ذلك صحيح ، ولكنك عقبة فى سبيل اتمام العمل الأكبر . اذا لم يكن الناس يكرهونك الآن فسيكرهونك غدا . ستكون أول المقتولين فى أول ثورة تشب . أظن أننى سأطلب ابعادك ..

(كوريل يقول فى استنكار وخوف)

كوريل : تبعدنى ؟.. ولكنك ستسمح لى بالطبع بالبقاء فى انتظار الرد على تقريرى الذى أرسلته الى العاصمة .

لانسر : بلا شك . ولكنى سأنصح بأن تبعد من هنا حرصا على سلامتك . أقول لك بصراحة ياسيد كوريل : لم تعد لك قيمة هنا.. هناك خطط أخرى توضع الآن لفتح بلاد أخرى ، فأظن أنه من الخير لك أن تذهب الآن الى بلد آخر . ستتاح لك الفرصة لتكسب الثقة فى ميدان جديد . ربما عهدوا اليك فى ادارة قرية أكبر من هذه ، ربما مدينة ، وربما

عهـد اليك فى مهمة أعظم . سـأمتدحك كثيرا لعملك الحسن هنا ..

(كوريل يقـول فى لهجـة تدل على شىء من الاطمئنان)

كوريل : شكرا يا سـيدى . لقد عملت بجد . ربما كنت على حق ، ولكن لابد أن تسمح لى بالبقاء حتى يأتى رد على تقريرى .

(لانسر يقول فى صوت حاسم بعض الشىء)

لانسر : البس خوذة فولاذية .. الزم دارك .. لا تخرج فى المسـاء .. وقبـل كل شىء : لا تشرب .. لا تأمن لأية امرأة ، أو لأى رجل .. هل تفهم ذلك ؟

(كوريل يقول بصوت يدعو الى الرثاء)

كوريل : أظنك لاتفهمنى . ان لى منزلا صغيرا تخدمنى فيه فتاة ريفية أثق فيها ، بل أسـتطيع أن أقول انها تحبنى . ان هؤلاء ناس بسطاء مسالمون . اننى أعرفهم ..

لانسر : ليس هناك قوم مسالمون . متى سـتفهم ذلك ؟

ليس هناك شعب صديق . ألا تستطيع أن تدرك ذلك ؟ لقد غزونا هــذا البلد ، وأنت مهدت لنا الطريق بواسطة ما يسمونه « الخيانة »

(بصوت أعلى وفى شيء من الحدة)

ألا تستطيع أن تفهم أننا فى حالة حرب مع هؤلاء النــاس ؟

كوريل : لقد غلبناهم ..

(لانسر يقف فى حالة عصبية. يرفع يديه وينظر الى السقف علامة اليأس)

(هنتر يرفع رأســه من فوق رسمه . يمسك المنضدة بيده لكيلا تهتز)

هنتر : مهلا ! انى أحبر الرسم الآن ، ولا أريد أن أعيده لكم من جديد ..

لانسر (لهنتر) : معذرة ..

(ثم يتكلم وكأنه يلقى درسا لتلاميذ)

ان الهزيمة أمر وقتى . انها شيء لا يدوم . لقد هزمنا نحن أيضا فى حرب ماضــية ، وها نحن نقف على أقدامنــا نفتح ونغزو . ان الهــزيمة

لا تعنى شـيئا • ألا تفهم ذلك ؟ هل تعـلم ما يهمسون به خلف أبوابهم ؟

كوريل : هل تعرف أنت ؟

لانسر : لا • ولكنى أقدر •

(كوريل يقول بلهجة خبيثة متعمدا الاثارة)

كوريل : هل أنت خائف ؟ هل يجوز لقائد جيش الاحتلال أن يخاف ؟

(لانسر يجلس ببطء • يقول وكأنه يكلم نفسه)

لانسر : اننى متعب من أولئك الناس الذين لم يشهدوا الحرب ومع ذلك فهم يعرفون كل شىء عنها •• اننى أذكر امرأة صغيرة مسنة فى بروكسل ، كان وجهها لطيفا وشـعرها أبيض ، كانت تنشد لنا أغانينا الوطنية فى صوت عذب ، وكان لا يعجزها أبدا أن تجد لنا السجائر والفتيات

(ينزل يديه الى جانبيه)

لم نكن نعلم أن ابنها كان قد أعدم •• هذه المرأة قتلت منا اثنى عشر بسـكين طويل ذى مقبض أسود قبل أن نقبض عليها ونعدمها •

كوريل : ولكنكم أعدمتموها !

لانسر : نعم ، رميناها بالرصاص !

كوريل : ووقفت الاغتيالات ..

لانسر : لا ! وحينما تقهقرنا آخر الأمر ، انقلب النـــاس كلهم وتحـــولوا جنودا . أحرقوا منا كثـــيرا ، وسملوا أعين كثيرين آخرين ، بل صلبوا عددا منــا .

كوريل (محتجا) : هذا كلام لاينبغى أن يقال ياكولونيل.

لانسر (فى شبه تفكير) : انها أشياء لايجب تذكرها .

كوريل : اذا كنت خائفا فلاينبغى أن تكون فى القيادة ..

لانسر : انني — كما ترى — أعرف كيف أحارب.. واذا كان الجندى يعرف كيف يكسب النصر، فلاينبغى له أن يرتكب أخطاء تدل على غباء .

كوريل : هل تتكلم مع صغار الضباط بهذا الأسلوب ؟

لانسر : لا . انهم لا يصدقوننى .

كوريل : فلماذا تقول لى ذلك اذن ؟

لانسر : لأن عملك قد انتهى يا سيد كوريل ..

(يسمع وقع أقدام مسرعة. يفتح الباب ويدخل لوفت فى حالة فزع ويقول)

لوفت : لقد وقعت حوادث ..

لانسر : حوادث ؟

لوفت : قتل الكابتن بيننتك .

لانسر (فى فزع) : بيننتك ؟

(يسمع وقع أقدام . يدخل جنديان يحملان نقالة عليها انسان مغطى)

لانسر : هل أنت متأكد أنه مات ؟

لوفت : من غير شك .

(يأتى بقية الضباط مسرعين فى دهشة وخوف. لانسر يقترب من النقالة . يكشف وجه الميت ثم يغطيه مسرعا)

لانسر : من فعل ذلك ؟

لوفت : أحد عمال المنجم .

لانسر : كيف عرفت ؟

لوفت : كنت هناك وشهدت الواقعة ..

لانسر : اكتب تقريرك .. اكتب تقريرك ..

لوفت : حللت محل بينتك كما أمرتم . كان بينتك فى طريقه الى هنا ، فرآنى فى نزاع مع عامل كان لا يريد أن يعمل . كان يقول انه انسان حر فى تصرفاته ، فلما أمرته بالعمل هجم على بمعول فى يده . حاول بينتك التدخل

(يصمت . ينظر الى الجثة . يهز يديه فى أسف . لانسر يركع الى جانب الجثة)

لانسر : كان بينتك رجلا غريبا .. كان يحب أعداءنا ، كان يحب كل شىء فيهم . لا أظن أنه كان يحب القتال كثيرا . هل قبضتم على الرجل ؟

لوفت : نعم .

لانسر : اذن بدأت الحرب من جديد .. سنقتل هذا الرجل ، وبهذا سنخلق عشرين عدوا جديدا . هذا هو الشىء الوحيد الذى نستطيع عمله . هذا هو الشىء الوحيد ..

پراكل : ماذا تقول ؟

لانسر : لا شىء .. لا شىء على الاطلاق .. كنت أفكر . بلغ العمدة أوردن تحياتى ، وقل له يأتى لمقابلتى فى الحال لأمر هام جدا .

ستار

المنظر الثالث

(قاعة الاستقبال فى دار العمدة . نفس المنظر الأول . قبل أن يرفع الستار ، يظهر المتحدث)

المتحدث : فوجىء أهل القرية بالاحتلال الأجنبى . ما بين يوم وليلة تبدل كل شىء حولهم . ثم زال عنهم ذهول المفاجأة بعض الشىء ، وبدأوا يتبينون الموقف الجديد . أخذ الغضب الصامت يحل محل الذهول ، ويعلو شيئا فشيئا . انهم يسيرون فى شوارع القرية على عجل ، عيونهم ثابتة فى محاجرها ، فيها تساؤل وحيرة . اذا رأوا أحدا من جيش الاحتلال فى الطريق نظروا اليه بعيون جامدة لا تفصح عن شىء .. رؤوسهم لا تزال عامرة بصور الأمس الذى ولى فجأة .. وأذهانهم تتلمس الطريق فى الواقع الذى لم يدركوه بعد تماما ..

(يرتفع الستار رويدا رويدا .. المتحدث يسير

في بطء ويختفي. يدخل چوزيف وآني يحملان منضدة)

چوزيف : لا تدفعي ..

آني : أنا أعرف ما أفعل

(يسيران بالمنضدة قليلا الى صدر المسرح)

هنا . لو لم يكن حضرة العمدة قد أمرني بذلك ما فعلته . أي حق لهم في نقل المكاتب والمناضد ؟

چوزيف : أي حق لأولئك الناس في المجيء الى هنا ؟

آني : لا حق لهم على الاطلاق .

چوزيف : تماما . اني أرى أن لا حق لهم أبدا ، ولكنهم يفعلون ما يريدون بفضل مدافعهم وجنود مظلاتهم . انهم ينفذون ما يريدون يا آني .

آني : لا حق لهم . كيف يسوغ لهم أن يضعوا منضدة هنا ؟ هذه ليست قاعة طعام ..

(چوزيف يضع كرسيا خلف المنضدة بعناية ، ثم يقول)

چوزيف : سيقومون باجراء محاكمة . سيحاكمون

أليكساندر موردن

آنى : زوج مولى موردن ؟

چوزيف : أجل ، زوج مولى موردن •

آنى : لأنه ضرب هذا المخلوق بالفأس ؟

چوزيف : أجل •

آنى : ولكنه شاب طيب • ليس لهم الحق فى محاكمته
•• بأى حق يعقدون له محكمة ؟

چوزيف : لقتله هذا الشخص •

آنى : فلنفرض أنه فعل •• ان هذا الشخص كان
يصدر الأوامر لأليكس بطريقة مثيرة للنفس ،
وأليكس لا يحب أن تصدر اليه الأوامر ••
ماذا سيفعلون به ؟

چوزيف : سيرمونه بالرصاص •

آنى : انهم لا يستطيعون ذلك •

چوزيف : هاتى الكراسى ياآنى • بالطبع هم يستطيعونه•
(آنى تمد أصبعها فىوجه چوزيف وتقول غاضبة)

آنى : أنت تفهم ما أقول • الناس سيغضبون

اذا أصيب أليكس بأذى . ان النـــاس يحبون أليكس . هل آذى أحدا قبل ذلك ؟ أجبنى ..

چوزيف : لا .

آنى : حســـنا . أنت ترى أنهم اذا أضروا بأليـــكس سيفقد النـــاس شعورهم ، وأنا أيضا ســـأفقد شعورى . لن أحتمل ذلك ..

چوزيف : وماذا عساك فاعلة ؟

آنى : سأقتل بعضهم بنفسى .

چوزيف : وتكون النتيجة أن يقتلوك أنت أيضا ..

آنى : ليقتلوا . انهم بذلك ســـيدفعون النـــاس الى الثورة .. أما كفاهم أن يذرعوا الشوارع فى هيئة المتغطرس المتكبر.. ثم يريدون أن يعدموا الناس بالرصاص ؟!

(چوزيف يضع كرســـيا على رأس المائدة . ثم يقترب من آنى ويظهر فى عينيـــه الجد ويقول بصوت خافت)

چوزيف : آنى .. هل تكتمين سرا ؟

(آنى تتخذ هيئة الاصــغاء وتقول فى شىء من السخرية)

آنى : نعم . ما الخبر ؟

چوزيف : لقد فر وليام ديل ووالتر دجل أمس .

آنى : الى أين ؟

چوزيف : ذهبا الى انجلترا فى قارب .

(يبدو السرور على آنى وتقول)

آنى : هل عند أحد علم بذلك ؟

چوزيف : قليلون يعلمونه .. أقصد كل الناس ما عدا .. (يشير بأصبعه للدور العلوى)

آنى : متى ذهبا ؟ وكيف لم أعلم خبر ذهابهما ؟

چوزيف : كنت مشغولة . هل تعرفين البقال كوريل ؟

آنى : نعم .

چوزيف : انه لن يعيش طويلا .

آنى : ماذا تعنى ؟

چوزيف : ان الناس يتحدثون بذلك .

(آنى تتنفس الصعداء بفرح وتقول)

آنى : آ .. ها .

چوزيف : ان النـــاس ينضم بعضهم الآن الى بعض . انهم لا يريدون أن يسلموا بالهزيمة . ان أشياء كثيرة هامة ستقع بعد قليل

(لحظة صمت . ينظر فى وجه آنى)

ان عينيك مقفلتان ياآنى ولديك أعمال كثيرة..

آنى : كيف حال حضرة العمدة ؟ ماذا هو صانع ؟ ما موقفه ؟

چوزيف : لا أحد يعلم . انه لا يقول شيئا .

آنى : لا يمكن أن يكون ضدنا ؟

چوزيف : انه لم يقل شيئا .

(يدخل العمـــدة أوردن ببطء . يبدو ضعيفا وكأنه أسن قليلا . معه الدكتور وينتر)

العمدة : حسنا يا چوزيف .. شـــكرا يا آنى . لا بأس بهذا

(يتجــه العمـــدة نحو المدفأة ويعطيها ظهـــره ليدفئه . الدكتور وينتر يأخذ كرسيا ويجلس)

لا أدرى الى متى أســتطيع أن أتحمـــل هذه

الحال .. ان الشعب لم يعد يثق فى ، وكذلك العدو . لا أدرى ان كان ما أفعله صوابا ..

وينتر : لا أدرى . انك تثق فى نفسك ، أليس كذلك ؟ لست تشك فى ذلك بينك وبين نفسك ؟

العمدة : أشك ؟ لا .. حقيقة أنى عمدة البلد ، ولكن هناك أشياء كثيرة هنا لا أفهمها

(يشير الى المنضدة)

أنا لا أفهم مثلا لماذا يعقدون هذه المحاكمة هنا .. انهم يريدون محاكمة أليكس موردن بتهمة القتل . أنت تعرف أليكس .. انه زوج هذه الفتاة اللطيفة مولى .

وينتر : نعم أعرفه وأعرفها . انها تدرس فى مدرسة الأطفال . انها لطيفة ، وهى لا تحب لبس النظارات فى الفصل ..

(لحظة صمت)

حسنا .. لقد قتل أليكساندر ضابطا ، لا يمارى أحد فى ذلك .

العمدة : لا أحد يمارى فى ذلك.. ولكن لماذا يحاكمونه ؟

لماذا لا يعدمونه بالرصاص ؟ ليست المسألة هنا مسألة شك فى ارتكابه الجريمة ، وهى كذلك ليست مسألة عدل أوظلم. ليس هنا شىء من ذلك البتة . لماذا يحاكمونه اذن ؟ وفى منزلى ؟

وينتر : أظن أنهم يفعلون ذلك للمظهر فقط . ان لهم من وراء ذلك فكرة . ان للمظاهر — أو قل المظاهرات — قيمة فى عملهم.. المظاهر ضرورية فى أحيان كثيرة ، ولكنهم يسرفون فيها.. نحن أيضا نحرص على المظاهر ، فقد كان لنا جيش مثلا : جنود ببنادق ، ولكنهم لم يكونوا جيشا كماتعلم. ان الغزاة سيعقدون المحاكمة ويرجون من ورائها أن يقنعوا الناس بأنهم يتحرون العدل. ان أليكساندر قتل الضابط كماتعلم..

العمدة : نعم .

وينتر : فاذا صدر الحكم عليه من دارك ، كان معنى ذلك أنهم يطبقون عدالتنا .. فى دارنا ..

(يفتح الباب الأيمن وتدخل مولى. امرأة جميلة فى حوالى الثلاثين من عمرها. تحمل نظارتها فى

يدها ، ملابسها أنيقة ، يبدو عليها الاضطراب الشديد)

مولى : قالوا لى أن آتى مسرعة ..

العمدة : نعم ، أنت مولى موردن ؟

(مولى يبدو فى وجهها ذعر شديد)

مولى : نعم، يقولون أنأليكساندر سيحاكم وسيعدم،

(ينظر العمدة لحظة الى الأرض)

يقولون انك ستحكم عليه .. انك أنت الذى ستصدر عليه حكم الاعدام ..

العمدة (مندهشا) : ما هذا ؟ من قال ذلك ؟

مولى : الناس فى الطريق

(تقف وتقترب من العمدة وتقول ببطء)

اذن فأنت لن تفعل ذلك ؟ هه ؟..

العمدة : كيف يعلم الناس ما لا أعلمه أنا ؟

وينتر : ذلك سر عظيم ، ذلك سر حير حكام العالم أجمعين : كيف تصل الأخبار الى الجماهير ! ان ذلك يقلق بال الفاتحين هنا ، ان الناس يقولون

لى : كيف تتسرب الأخبار برغم الرقابة الشديدة؟
كيف تجد حقائق الأشياء طريقها الى الشارع
رغم كل شيء ؟ ان ذلك سر كبير

(يبدأ الظلام يسود . مولى تنظر الى النافذة)

مولى : انها سحابة كثيفة .

(يذهب وينتر الى النافذة)

وينتر : نعم ، انها سحابة كبيرة ، ربما مرت مسرعة .
(أوردن يدير زرا كهربائيا . ينبعث من المصباح
فى السقف نور ضعيف يضىء دائرة ضيقة على
الأرض . يعيد اطفاءه ويقول)

أوردن : النور الصناعى فى النهار يشعر بالوحشة ..

(مولى تقترب منه)

مولى : ان أليكساندر ليس قاتلا . صحيح انه حاد
المزاج ، ولكنه لم يتخط القانون فى حياته أبدا .
انه رجل محترم ..

(أوردن يضع يده على كتفها)

أوردن : لقد عرفت أليكساندر منذ كان صبيا . لقد

عرفت أباه وجده • كان جده صياد دببة فى الزمن الخالى •

مولى : انك لن تحكم عليه ؟ هه ؟

العمدة : لا •• كيف أحكم عليه ؟

مولى : قال الناس انك ستفعل ذلك محافظة على النظام •

العمدة : هل يريد الناس النظام يا مولى ؟

مولى : لا أدرى • انهم يريدون أن يكونوا أحرارا •

العمدة : حسنا • هل يعلمون السبيل الى ذلك ؟ هل يعلمون الطريقة التى يقاومون بها جيشا مسلحا ؟

مولى : لا أظن ذلك •

العمدة : أنت فتاة ذكية يا مولى •

وينتر : هل تعلم أنت هذه الطريقة ؟

العمدة : لا يا سيدى • ولكنى أظن أن الناس يشعرون بأنهم مغلوبون على أمرهم اذا ظلوا مسالمين ، وهم يريدون أن يثبتوا لهؤلاء الجنود أنهم لم يغلبوا •

وينتر : لم تعط لهم أية فرصة ليقاتلوا • ليس من

الحـرب فى شىء أن تذهب أعزل للقـاء مدفع رشاش .

العمدة : مولى . اذا علمت ماذا سـيفعل النـاس ، هل تخبريننى ؟

(مولى تجيب فى كثير من التردد)

مولى : نعم يا سيدى .

العمدة : تريدين أن تقولى لا .. أنت لا تثقين فى .

مولى : ولكن .. ماذا سيحدث لأليكساندر ؟

العمدة : اننى لن أحكم عليـه .. انه لم يقترف جرما فى حق شعبنا .

مولى : هل .. هل سيقتلون أليكساندر ؟

(ينظر العمدة اليها لحظة ، ثم يقول فى تأثر)

العمدة : يا طفلتى .. يا طفلتى العزيزة ..

(تبتعد عنه قليلا وتقول بصوت فيه جفاف)

مولى : شكرا ..

(يحاول العمدة الاقتراب منها ووضع يده على كتفها)

(مولى تبتعد عنه قائلة بصوت ضعيف)

مولى : لا تمسنى .. أرجوك أن لا تمسنى .

(تهبط يده الى جانبه . تقف لحظة صامتة ثم تخرج مسرعة من الباب . يدخل چوزيف)

چوزيف : معذرة يا سيدى . الكولونيل يريد رؤيتك . قلت له انك مشغول لأنى علمت أن مولى هنا. سيدتى حرمكم تريد رؤيتك كذلك .

العمدة : قل للسيدة أن تأتى .

(يخرج چوزيف وتدخل زوج العمدة على عجل)

زوج العمدة : لا أدرى كيف أدير المنزل . المنزل يضيق بمن فيه ، وآنى غضبى دائما .

(أوردن يشير اليها بيده ، ويقول فى رفق)

أوردن : هس !

(زوج العمدة تنظر اليه بعينين فيهما دهشة)

زوج العمدة : أنا لا أفهم .. ماذا ؟

أوردن : هس ! ساره ! أريد أن تذهبى الى منزل أليكساندر موردن. هل تفهمين ؟ أريد أن تبقى

مع مولى موردن طالما كانت فى حاجة اليك ..
لا تتكلمى معها .. ابقى معها فقط .

زوج العمدة : ولكن ورائى أشياء أخرى كثيرة جدا .

أوردن : ســـاره ! أريد أن تبقى مع مولى موردن .
لا تتركيها وحدها . اذهبى الآن .

(زوج العمـــدة تقول فى لهجة تدل على أنهـــا فهمت أخيرا)

زوج العمدة : آه . حسنا ، سأذهب. متى سينتهى هذا الأمر؟

العمدة : لا أدرى . سأبعث اليك آنى عندما ينتهى الأمر هنا .

(تخرج . أوردن يسير نحو الباب الأيمن ويقول)
چوزيف ! أنا مستعد لمقابلة الكولونيل الآن .
(بعد لحظة قصيرة يدخل لانسر . يرتدى بذلة حديثة الكى ، يحمـــل فى حزامه خنجرا صغيرا محلى)

لانسر : صباح الخير يا سعادة العمدة . أريد أن أتحدث معك حديثا خاصا

(ينظر الى الدكتور وينتر ثم يقول للعمدة)

أريد أن أحدثك على انفراد ..

(وينتر ينهض ويسير ببطء نحو الباب . حينما يقترب منه يناديه العمدة)

أوردن : وينتر !

وينتر : نعم .

أوردن : هل ستعود هذا المساء ؟

وينتر : أتريدنى فى شىء ؟

أوردن : لا .. لا .. فقط أنا لا أريد أن أكون وحيدا.

وينتر : سأكون هنا .

أوردن : وينتر ! هل تظن أن مولى بخير ؟

وينتر : أظن ذلك . ان حالتها قريبة من الهستريا. انها من جنس قوى : انها من أسرة كندرلى كما تعلم.

أوردن : آه . تذكرت

(يسير وينتر الى الباب . يخرج ويقفله خلفه . بعد أن يغلق البـاب تماما ، ينظر لانسر الى المائدة والكراسى ويقول)

لانسر : لا أستطيع أن أعبر لك عن أسفى يا سـيدى . كنت أتمنى أن لو لم يحدث ذلك

(أوردن ينظر اليه بهدوء)

انى أحبك يا سيدى وأحترمك ، ولكن أمامى واجبا ينبغى أن أقوم به . وأنت توافقنى على ذلك طبعا

(أوردن ينظر اليه فى عينيه بثبات)

اننا لا نتصرف من تلقاء أنفسنا ، لسنا وحدنا أصحاب الأمر . لدينا قواعد موضوعة ، قواعد قررت فى العاصمة . هذا الرجل قتل ضابطا ..

أوردن : لماذا لم ترموه بالرصاص فى الحال ؟ كان ذلك هو الوقت المناسب للقصاص ..

(لانسر يهز رأسه)

لانسر : أنا معك فى هذا ، ولكن ليس هناك فرق كبير . أنت تعرف أن الغرض الأول من تلك العقوبة هو الارهاب . وما دام المقصود هو الارهاب فيستحسن أن تكون علنية ، بل ينبغى ان تأخذ صورة مأساة

(يضع يده فى حزامه ويعبث بالخنجر)

(العمدة ينظر من النافذة)

العمدة : سيسقط ثلج كثير هذه الليلة ..

لانسر : يا حضرة العمدة ! ان أوامرنا لا تحتمل تغييرا .
لا بد لنا من الحصول على الفحم . اذا لم يكن
شعبك أهل نظام فسنضطر لاقرار النظام بالقوة
(صوته يزداد خشونة)
سنضطر الى اعدام بعض الناس اذا وجدنا ذلك
ضروريا ، فاذا كنت تريد أن تجنب شعبك
الضرر فلا بد أن تساعدنا على حفظ النظام .
ان حكومتى ترى أن العقوبة ينبغى أن تصدر
عن السلطة المحلية ، فهذا يساعد على سرعة
اقرار النظام .

العمدة : لقد عرف الناس هنا ذلك قبل أن نعلمه نحن...
(بصوت أعلى)
أنت تريد أن أصدر أنا الحكم على أليكساندر
موردن بعد محاكمته هنا ؟

لانسر : نعم . وأنت بذلك تحقن دماء كثيرة .
(يذهب أوردن ببطء الى المائدة . يسحب
كرسيا ويجلس وهو يفكر تفكيرا عميقا ثم يقول)

العمدة : أنت وحكومتك لاتفهمون . انحكومتك تنفرد في الدنيا بسلسلة لانهاية لها من الهزائم على طول السنين ، والسبب فى ذلك كله هو أنكم لاتفهمون طبائع البشر . ان هذا القرار الذى اتخذتموه لن يمكن تنفيذه . أولا لأنى عمدة ، وليس للعمدة حق اصدار حكم الاعدام .. قوانين بلادنا لا تعطينى هذا الحق .. لو فعلت ذلك لكسرت القانون كما تكسره أنت .

لانسر : أكسر القانون ؟

العمدة : لقد قتلتم ستة رجال حينما أتيتم هنا ، فقانوننا يقضى بأنكم قتلة .. كلكم . واذن فلماذا تتكلم هذا الكلام الذى لامعنى له عن القانون ياكولونيل ؟ ليس هناك قانون بينكم وبيننا . هل تنسى ياكولونيل أن الوضع الصحيح بيننا وبينكم هو وضع حرب ؟ .. وأن شرارة الحرب اذا اندلعت كان علينا ومن حقنا أن نقتلكم كلكم ؟ .. لقد حطمتم قانوننا ساعة مجيئكم هنا وأقمتم بدله قانونا آخر ، قانونا لا نعترف به .. ألا تعلم ذلك ؟

لانسر : هل أستطيع أن أجلس ؟

العمدة : لماذا تسأل ؟ هذا نفاق آخر منك .. انك تستطيع أن تقيمنى بين يديك لو أردت .

لانسر : لا . ان ما أقوله لك حق سواء صدقته أو لم تصدقه . أنا شخصيا أحترمك وأحترم وظيفتك و ..

(يتوقف . يعتمد رأسه بيديه ، ثم يقول بعد فترة صمت كأنه يفكر)

أنت ترى يا سيدى أننى رجل فى سن ليست بالصغيرة .. انى أحمل فى رأسى هذا ذكريات كثيرة .. ان ما أفكر فيه أنا شخصيا أمر لا أهمية له ، فقد أتفق معك فى الرأى ، ولكن هذا لن يغير من مجرى الأمور كثيرا . ان الدائرة التى أعمل فيها — وهى الدائرة العسكرية السياسية — لها اتجاهات وقواعد رسمتها جهات أخرى .

العمدة : وهذه الاتجاهات وتلك القواعد قد أثبتت خطأها وفشلها فى كل حالة منذ بدء الخليقة .

(لانسر يضحك ضحكة فيها كثير من المرارة)

لانسر : ربما أتفق معك أنا شخصيا ، أنا الرجل العادى ذو الذكريات الخاصة المتواضعة • ربما أستطيع أن أقول لك ان التمسك بالمظهر العسكرى والتزام قيوده دليل عجز العقلية العسكرية السياسية وقصورها عن فهم أو ادراك شيء غير « القتل » الذى هو مهمتها الأولى • ولكننى ضابط ، لا أتصرف من تلقاء نفسى • وبحسب ما دلتنى عليه تجاربى فان عامل المنجم ينبغى أن يرمى بالرصاص علنا ، لأن النظرية العسكرية هى أن هذا القصاص سيوقف الآخرين عن قتل رجالنا •

العمدة : لا حاجة بنا للكلام أكثر من ذلك ، واذن ••

لانسر : بل ينبغى أن تتكلم ، نريد أن تساعدنا ••

(يجلس أوردن ببطء مفكرا ثم يقول)

العمدة : سأقول لك ما أنا فاعل • كم رجلا كانوا يطلقون المدافع الرشاشة التى قتلت جنودنا ؟

لانسر : عشرون على الأكثر ، على ما أظن •

العمدة : حسنا ! اذا أعدمتهم رميا بالرصاص فأنا مستعد لادانة موردن ••

(يبدو على وجه لانسر أنه فوجىء بهذا الرد)

لانسر : أنت تهزل ..

العمدة : بل أنا جاد ..

لانسر : أنت تعرف أن هذا لا يمكن أن يكون .

العمدة : أجل أعرف ، وكذلك ما تطلبه منى لا يمكن أن يكون .

لانسر : أجل .. كان ينبغى أن أفهم ذلك .. أظن أن كوريل سيصبح عمدة رغم كل شىء .. هل ستحضر المحاكمة ؟

أوردن : نعم . حتى لا يقف أليكساندر وحده ..

(لانسر ينظر اليه طويلا وهو يبتسم ابتسامة هادئة ، ثم يقول)

لانسر : أى عبء هذا الذى نحمل !

أوردن : أجل .. عبء لا يستطاع حمله ..

لانسر : ما هو ؟ ..

أوردن : أن تحاول القضاء على معنوية انسان الى الأبد..

(يحدث نفسه)

لقد بدأ الثلج يسـقط ••• لم ينتظـر قدوم
الليل •• أقبل أسرع مما كنت أتصور

سـتار

المنظر الرابع

(فى الدور الثانى من بيت العمدة الذى اتخذه الضباط الألمان مركز قيادة لهم . الضباط جلوس فى هيئة محكمة . لانسر على رأس المنضدة . هنتر على يمينه ، يليه تنـدور ، ثم لوفت ، وأمامهم أوراق كثيرة . على يسار لانسر يجلس پراكل . على مسافة بعيدة يجلس العمدة أوردن الى جانب المنضدة منحرفا نحو الجمهور . الى جانب المنضدة يقف جنديان بالخوذات فى كامل السلاح والاستعداد . بين الجنديين يجلس اليكساندر موردن الذى سيحاكم : شاب كبيرالجسم ذو جبهة عريضة ، يلبس بنطلونا أسود وقميصا أزرق مفتوحا عند الرقبة وسترة سوداء ظاهرة القدم)

(لوفت يستمر فى قراءة المحضر الذى أمامه)

لوفت : .. ولما أمر أن يعود الى العمل رفض ، ولما أعيد عليه الأمر هاجم الكاپتن لوفت بالمعول الذى كان فى يده . فألقى الكاپتن بينتك بنفسه بينهما .

(أوردن يسعل ثم يقول مقاطعا متحدثا الى أليكساندر)

أوردن : اجلس يا أليكساندر .. أيها الجنود .. واحد منكم يأتيه بكرسى

(الحارس يتلفت ويحضر كرسيا دون سؤال)

لوفت : المعتاد أن يقف المتهم ..

أوردن : دعوه يجلس . نحن آعرف بتقاليــد المحاكمات منكم .. قولوا فى بلاغكم انه كان واقفا .

لوفت : ليس من العادة الكذب فى البلاغات .

أوردن : اجلس يا أليكساندر .

(يجلس أليكساندر . حالته عصبية ظاهرة)

لوفت (محتجا) : هذا يخالف كل ..

لانسر (مقاطعا) : دعه يجلس .

(لوفت يسعل استعدادا للقراءة)

لوفت : .. فألقى الكابتن بينتك بنفسه بينهما، فأصابته ضربة هشمت جمجمته ..

(يتوقف عن القراءة ويشير الى أوراق أمامه)
هنا تقرير طبى ملحق ، هل أقرأه ؟

لانسر : لا . لا حاجة .. أسرع ..

(لوفت يستمر فى القراءة)

لوفت : .. وهذه الوقائع شهدها عدد من جنــودنا ،

وشهاداتهم ملحقة بهذا التقرير . وهذه المحكمة ترى أن المتهم مرتكب لجناية قتل وترى الحكم عليه بالاعدام ..

(يفرغ من القراءة ويقول)

هل أقرأ شهادات الجنود ؟

(لانسر يزفر زفرة طويلة ثم يقول لأليكساندر)

لانسر : أنت لا تنكر أنك قتلت الكاپتن ؟ هل تنكر ؟

أليكساندر : لقد ضربته ، ولا أعلم ان كنت قتلته .

أوردن (مسرورا) : حسنا ياأليكساندر

(ينظر أحدهما للآخر)

لوفت : هل تريد أن تقول ان انسانا آخر قتله ؟

أليكساندر : لا أدرى . لقد ضربته ، ثم ضربنى شخص لا أعرفه .

لانسر : هل تريد أن تقدم لنا ايضاحا ؟ لا أظن أن ذلك يغير الحكم عليك ، ولكننا مستعدون للاصغاء .

لوفت : أحب أن ألاحظ بكل احترام أن الكولونيل لم يكن ينبغى أن يقول ذلك . ان هذا يفهم منه أن المحكمة ليست على تمام الحيدة ..

(لانسر ينظر الى لوفت لحظة ويبتسم بهدوء .
أوردن يضحك ضحكة جافة)

لانسر : هل لديك ايضاحات ؟

أليكساندر : كنت فى تلك اللحظة خارجا عن وعيى . ان مزاجى حاد يعسر على ضبطه . قال لى اننى لا بد أن أعمل ، وأنا رجل حر ، فخرجت عن طورى وضربته . أظن أننى ضربته بشدة . لم أكن أقصده هو

(يشير الى لوفت)

هذا هو الرجل الذى كنت أريده ، هذا ..

لانسر : ليس من المهم معرفة من أردت قتله. المسألة هى : بصرف النظر عن شخصية المعتدى عليه ، هل أنت نادم على ما فعلت ؟ اننى مستعد للنظر بعطف فى الموضوع لو كنت آسفا على ذلك .

أليكساندر : آسف ؟ لا ! لست آسفا .. لقد أمرنى — أنا الرجل الحر — أن أذهب الى العمل . لقد تعودت أن أكون سيد نفسى .. قال لى اننى لابد أن أعمل ، أردت أم لم أرد ..

لانسر : ولكن اذا كان الحكم هو الاعدام ، ألا تكون آسفا فى هذه الحالة ؟

(تنحنى رأس أليكساندر على صدره لحظة كأنه يفكر ، ثم يقول)

أليكساندر : لا . هل تريد أن تعرف اذا ما كنت مستعدا لفعل مافعلت اذا انتهرنى ضابط وأمرنى بالعمل؟

لانسر : نعم . ذلك ما أعنيه .

(أليكساندر يصمت لحظة مفكرا ، ثم يقول)

أليكساندر : لا . لا أظن أننى آسف .

لانسر (للكاتب) : اكتب أن المتهم يشعر بندم ، الحكم مفهوم

(لأليكساندر)

هل تفهم أنك بذلك تضع المحكمة فى وضع لا يمكنها من التخفيف عنك ؟ المحكمة تجدك مدانا وتقرر اعدامك فى الحال . لا أجد داعيا لتعذيبك أكثر من ذلك . كاپتن لوفت ! هل نسيت شيئا ؟

(أوردن يقف ويقول فى حزم وعنف)

أوردن : نسيتنى !

(يزحزح كرسيه ويتقدم ببطء الى أليكساندر)

أليكساندر ! أنا العمدة.. أنا الذى انتخبتمونى لرياستكم ..

أليكساندر (باحترام) : أعرف ذلك يا سيدى .

العمدة : أليكساندر ! هؤلاء الناس غزاة استولوا على بلدنا بالغدر والخيانة والقوة ..

(لوفت يوجه خطابه الى أوردن متهددا)

لوفت : أيها السيد ! ان هذا غير مسموح به .

لانسر (للوفت) : خير لنا أن نسمعه يقوله جهرة من أن يهمس به فى الآذان خفية .

أوردن : حينما أتوا أصيب الناس بذهول ، وأنا نفسى استولت على الحيرة .. لم نستطع أن نفكر أو نعمل شيئا . ان عملك هو أول تصرف واضح مفهوم من جانبنا . ان غضبك هو بدء غضب الشعب كله . أنا أعرف أنه يقال فى البلد اننى أعمل مع هؤلاء الناس . سيعرف أهل البلد فيما بعد حقيقة الأمر .. ولكنك أنت ذاهب للموت ، وأريدك أن تعلم ذلك .

(أليكساندر تنحنى رأسـه على صـدره لحظة ويقول)

أليكساندر : أعرف ذلك يا سيدى •

لانسر (مخاطبا لوفت) : هل أعددت فرقة الجنود ؟

الجندى الذى على الباب : انها تنتظر خارجا يا سيدى •

لانسر : من يقودها ؟

الجندى : اللفتنانت تندور يا كولونيل •

(تندور يرفع رأسه • وجهه جامد كالحجر)

أوردن (لأليكساندر) : هل أنت خائف يا أليكس ؟

أليكساندر : نعم يا سيدى •

أوردن : لا بأس عليك • أنا شخصـيا كنت لابد أخاف لو كنت محلك ، وهؤلاء السـادة كان الخوف يعتريهم كذلك ••

لانسر (لتندور) : اذهب الى فرقتك •

(تنـدور ينهض مسرعا ويتجه نحو البـاب • يفتحه • يبدو الجنود ذوو الخوذات)

العمدة : اذهب يا أليكساندر ، ولتعلم أن هؤلاء الناس

لن يذوقوا طعم الراحة أو يموتوا . انك ستجعل من الشعب رجلا واحدا . يحزننى أن يقال لك ذلك وليس لك من ورائه طائل ولا غناء ، ولكن الأمر هو هكذا : لن يستريحوا أبدا .

(أليكس يغمض عينيه. العمدة يقبله فى جبهته)

العمدة : وداعا يا أليكس .

(الجنديان يقودان أليكساندر الى الخارج . يسير وعيناه مغمضتان . فرقة الجنود تضرب بأقدامها الأرض فى حركة « انتباه » ثم يسيرون سيرا عسكريا . يسود صمت عميق . أوردن ينظف جزءا من النافذة لينظر من خلاله . ينظر الى الضباط ويقول)

أرجو أن تكونوا مدركين ما تصنعون ..

(لوفت يجمع أوراقه . لانسر يقول له)

لانسر : فى الميدان يا كابتن ؟

لوفت : نعم فى الميدان ، لابد أن يكون التنفيذ علنيا .

أوردن : أرجو أن تعلموا ...

لانسر (مقاطعا) : أيها الرجل ! نعلم أولا نعلم ، لابد من التنفيذ ..

(يسود صمت شامل لحظة ، يسمع بعدها دوى طلقات الرصـــاص لاعدام أليكس فى الخارج - لانسر يتنفس تنفس الألم . أوردن يضـــع يديه على وجهه ويتنهد تنهدا عميقا. يأتى طلق نارى من النافذة على اليسار . يتحطم الزجاج ويقع الكابتن پراكل الجالس فى مقابلة النافذة. لانسر يقفز نحوه ويصيح بغضب بالغ)

لانسر : هكذا نبدأ اذن! هل اصابتك شديدة يالفتنانت ؟

پراكل : كتفى !

لانسر : كاپتن لوفت ! لابد أن المجــرم قد ترك آثار أقدامه فى الثلج الآن . فتشوا كل منزل باحثين عن أسلحة . خذوا كل من لديه ســلاح رهينة

(ينظر الى العمدة)

وأنت ! أنت موضوع تحت الحراسة محافظة على حياتك.. ينبغى أن تعلم ذلك . سنقتل خمسة، أو عشرة ، أو مائة مقابل كل واحد منا ..

(مخاطبا لوفت)

أريد أن يجمع كل ســلاح فى البلد • أحصرو
كل من يقاوم• اذهبوا قبل أن تختفى آثارهم •
(الضباط يحدثون شـيئا من الضجة آخذين
خوذاتهم ومسدســاتهم • أوردن يذهب ببطء
الى النافذة • يشم الهواء ويقول)

العمدة : رائحة الثلج العذبة الباردة !

(يقهقه)

ســتار

المنظر الخامس

(فى الدور الثانى من بيت العمدة حيث اتخذ الضباط الألمان مركز قيادتهم . يرتفع الستار شيئا فشيئا والمتحدث واقف مكانه مواجها للجمهور)

المتحدث : تغير جو هذه الغرفة تماما وزايلها كل روح منزلى مريح . زجاج الشبابيك مغطى بورق أسود . الغرفة ملأى بالعدد الحربية من كل صنف فى كل ناحية ، وخصوصا النظارات وقناعات الغاز والخوذات. جو الغرفة لايسوده النظام الدقيق . على المنضدة مصباحا غاز (كلوبان) ينبعث منهما ضوء شديد أبيض . لهما وشيش مستمر خافت . هذا هو الميجر هنتر مستمر فى عمله . عليه أن يرسم دائما ، لأن ما يصممه كان ينهدم أولا بأول بسبب الألغام الخفية التى كان الناس يضعونها . هذا لم يكن ليضايقه ، لأن الحياة عنده كانت بناء مستمرا . خلفه مصباح كبير بضىء له لوحة

الرسم • وهذا پراكل جالس على كرسى مريح• يده لا تزال فى الرباط • انه يقرأ مجلة مصورة• فى آخر المنضـــدة يجلس تندور يكتب خطابا ، يكتب ويفكر من حين لحين ناظرا للسقف باحثا عن شىء يكتبه •

(يختفى المتحدث)

(پراكل يغلق المجلة ويقول)

پراكل : أستطيع أن أغمض عينى وأتصور كل دكان فى الشارع هنا

(يشير بأصبعه الى صورة فى المجلة • الآخرون لا يهتمون به كثيرا • فيمضى فى حديثه)

يوجد مطعم وراء هذا البيت هنا

(يشير بيده)

انه لايبدو فىالصورة• انه يسمى مطعم بوردن•

(هنتر يقول دون أن يرفع رأسه من فوق الرسم)

هنتر : أعرفه • عندهم بفتيك شهى ••

پراكل : بالطبع • كل أشـــيائهم لطيفـــة •• ما رأيك فى قهوتهم ؟

(تندور يرفع رأسه من فوق خطابه ويقول)

تندور : انهم لا يقدمون قهوة الآن ولا بفتيك .

پراكل : لا أدرى ، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك . ثم انه كانت عندهم خادم

(يرسم هيئـــة جسمها بيديه ، ثم ينظر الى مجلته لحظة)

ان عينيها من أغرب العيون . عينان فيهما حزن .. جفنان رطبان دائما حتى ليخيل للانسان أنها كانت تبكى أو تضحك منذ لحظة

(ينظر الى السقف ويتحدث فى حنان كبير)

لقد خرجت معها . كانت فاتنة .. اننى أعجب لماذا لم أفعل هذا مرارا .. لا أدرى ان كانت لا تزال هناك ..

تندور (بحزن) : لا أظن . أظنها تعمل الآن فى مصنع .

پراكل (ضاحكا) : أرجو ألا يكونوا يوزعون النساء بالبطاقات فى بلدنا الآن ..

تندور : ولم لا ؟

پراكل : (مداعبا) : انك لا تحفل بالنساء كثيرا . أليس
كذلك ؟ لا تحفل بهن كثيرا ؟

تندور : انى أحبهن لما خلقن له ، ولا أسمح لهن بأن
يتسربن الى نواحى حياتى الأخرى .

(پراكل يقول مستثيرا لصاحبه)

پراكل : يخيل الى أنهن يشغلن ذهنك طول الوقت !

(تندور محاولا تغيير الموضوع)

تندور : انتى أكره هذه المصابيح اللعينة . ميچر ! متى
سيتم هذا الدينامو ؟

(هنتر يرفع رأسه من فوق الرسم)

هنتر : هذا الدينامو كان ينبغى أن يكون جاهزا الآن.
ولكن ليس لدى رجال ماهرون ليقوموا بالتنفيذ.

پراكل : هل قبضتم على من أتلفه ؟

هنتر : ان التهمة تحوم حول خمسة رجال ، والخمسة
تحت يدى الآن . ان اتلاف دينامو لمن أيسر
الأمور ، اذا عرفت كيف تصنع ذلك . أظن أن
الضوء الكهربائى سيأتى فى أية لحظة الآن .

پراكل : (ناظرا فى مجلته) : اننى أســائل نفسى : متى سـيخلى سـبيلنا ؟ متى سـنعود الى دورنا ؟ ميچر ! ألا تريد أن تعــود الى بلدك للراحة ؟

(هنتر يرفع رأسه من فوق الرسم . يبدو عليه الألم لحظة ويقول)

هنتر : بالطبــع ! لقد بنيت الخط الاحتبــاطى خمس مرات الآن ، وانى لأعجب لماذا تصيب القنــابل هذا الجـزء بالذات كل مرة .. لقد تعبت من اعادة انشائه ، لأننى فى كل مرة أضطر الى أن أعيد بنــاء الطريق بسبب الحفر التى تحــدثها القنــابل ، وليس لدى وقت لردم هذه الحفر . ان الأرض متجمدة متصلبة . ذلك عمل عسير جدا .

(تضىء المصــابيح الكهربائية فجــأة . ينقطع صــوت الدينامو . تنــدور يطفىء المصابيح الغازية ويقول)

تندور : الحمــد لله ! هذا الوشيش يثير أعصابى . انه يخيل الى أن هناك همسا

(يغلق الخطاب الذى كان يكتبه)

غريب ! ان خطابات كثـــيرة لا تمر من الرقابة .
لقد تسلمت خطابا واحدا فى أسبوعين .

پراكل : ربما كان سبب ذلك أن أحدا لا يكتب لك .

تندور : ربما !

(يلتفت الى الميجر ويقول)

اذا حدث شيء فى بلدنا.. هل تظن أنهم يدعوننا نعرف ذلك .. أعنى شيئا محزنا ، مثل الوفيات وما أشبه ؟

هنتر : لا أدرى .

تندور : كم أرجو أن أخرج من هذا الجحر الذى لاتدخله رحمة الله !

پراكل : ظننت أنك تريد أن تبقى هنا حتى بعـــد الحرب

(يقلد صوت تندور)

أجمع أربع أو خمس مزارع الى بعضها ، وأجعل من ذلك مكانا جميلا ومقرا لأسرتى ! ألم يكن الأمر كذلك ؟ كنت تريد أن تكون سيدا لهذا الوادى.. ألم تكن أنت الذى كنت تحلم بذلك ؟

(يعود الى تقليده)

قوم لطـاف مرحون .. قوم عزل لا يعـرفون الشر .. لهم أطفال جميـلة .. ألم يكن الأمر كذلك يا تندور ؟

تندور : كن هادئا ولا تتكلم هكذا ! هؤلاء النـاس ! هؤلاءالناس المرعبون ، هؤلاء الناس الباردون! انهم لاينظرون الينا أبدا .. انهم لايتكلمون .. يجيبونك وكأنهم أموات .. والبنات .. انهن متجمدات ..

(يدخل چوزيف حاملا جردلا مملوءا بالفحم . يضعه بهدوء دون ضوضاء ثم يتجه نحوالباب)

(پراكل يناديه بصوت عال عصبى)

پراكل : چوزيف !

(چوزيف يقف . لا يرفع بصره)

هل عندك أى نوع من النبيذ أو البراندى ؟

(چوزيف يهز رأسه علامة النفى)

(تندور ينهض عن المائدة ويقترب من چوزيف صارخا فيه بصورة عصبية)

تندور : أجب يا خنزير !.. تكلم !

(چوزيف يقول بصوت خافت فيه اهتمام قليل)

چوزيف : لا يا سيدى ، لا يوجد نبيذ .

تندور (فى غضب) : ولا براندى ؟

چوزيف (بهدوء وسكون) : ولا براندى ..

تندور : ماذا تريد ؟

چوزيف : أريد أن أذهب يا سيدى .

تندور : اذهب .. عليك اللعنة !

(چوزيف يخرج بهدوء . تندور يخرج منديلا ويمسح به وجهه)
(هنتر يرفع رأسه ويقول)

هنتر : ما كان ينبغى أن ينتصر عليك بهذه السهولة ..

(تندور يجلس على الكرسى . يداه تسندان وجهه ويقول بصوت المتعب)

تندور : أريد امرأة ! أريد أن أعود الى بلدى . أريد امرأة . توجد امرأة فى هذه البلدة ، امرأة جميلة . اننى أراها دائما ، شعرها أشقر . انها تجلس الى جانب مخزن الحديد القديم . أريد هذه الفتاة ..

براكل : انتبه لنفسك !. اضبط أعصابك !.

(تنطفىء الأضواء من جديد وتصير الغرفة فى ظلام . الضباط يشعلون الكبريت ويحاولون ايقاد المصابيح) .

هنتر : ظننت أننى قبضت عليهم كلهم. لابد أن يكون قد أفلت منهم واحد ، ولكنى لا أستطيع أن أعدو الى هنا فى كل لحظة .. لقد أوقفت رجالا أكفاء هناك

(يأخذ فى اضاءة المصابيح . يقول لتندور فى صوت عليه مسحة الجد)

لفتنانت! كلمنا نحن ان كان لديك ماتقوله. لاتدع العدو يسمعك وأنت تتكلم على هذا النحو . ليس أحب الى قلوب هؤلاء الناس من أن يعلموا أن أعصابك تضعف مع الزمن . لاتدع العدو يسمعك .

(تندور يجلس أمام المصباح. الضوء يسطع على وجهه . يتكلم بلهجة عصبية فيها سخرية)

تندور : هكذا ! العدو فى كل مكان . كل رجل هنا عدو ، وكل امرأة ، حتى الأطفال . العدو فى

كل مكان . انه يطل علينا بوجهه من خلف الأبواب . تلك الوجوه البيضاء المختفية وراء ستر النوافذ .. انها تصغى . لقد غلبناهم !.. لقد انتصرنا فى كل مكان !.. ها هم ماثلون بين أيدينا طائعين ! نصف الدنيا ملك لنا !.. هل الحال هكذا فى النواحى الأخرى يا ميجر ؟

هنتر : لا أدرى .

تندور : تلك هى المسألة . لا نعلم شيئا مع أن التقارير وكل شيء فى يدنا : البلاد المفتوحة ترحب بجنودنا ، ترحب بالنظام الجديد ..

(يقول فى صوت خافت جدا)

ماذا تقول التقارير عنا ؟ هل تقول اننا محبوبون فى كل مكان ، وأن الناس يرحبون بنا ، وأن الزهور تلقى علينا فى الطريق ؟ أوه .. هؤلاء الناس المخيفون الذين يترقبوننا خلف أكوام الثلوج ..

(يراكل يدق على المائدة بقبضة يده دقا خفيفا ويقول مخاطبا هنتر)

پراكل : لا ينبغى له أن يتكلم على هذه الصـورة . انه جنـدى ، أليس كذلك ؟.. لماذا لا تلزمه بأن يكون جنديا ؟

(يفتح الباب ويدخل الكاپتن لوفت ببطء. ثلج أبيض على خوذته وعلى كتفيه . أنفـه محمر من البرد . ياقة معطفه مرفوعة وتغطى أذنيه . يخلع خوذته فينتثر الثلج الأبيض على الأرض ، ينفض الثلج عن كتفيه)

لوفت : يا لها من مهنة !

هنتر : هل حدث شيء جديد ؟

لوفت : دائما .. أنا أرى أن الدينامو يعمل الآن ، أظن أننى استطعت تثبيته ولو لفترة من الزمان .

هنتر : ثم ماذا حدث ؟

لوفت : ما يحـدث دائما : الابطاء فى العمل ، وانقـلاب العربات . لقد رأيت الفاعل ورميته بالرصاص ، وأظننى حسـمت الأمر بذلك يا ميجر الآن .. لقد فكرت فى الموضوع . سأفرض على كل رجل أن يستخرج مقـدارا معينا من الفحم . وحيث أننى لا أستطيع أن أجيع الناس والا لم يعملوا ،

فقد فكرت جيدا فى حل هذا الموضوع ووجدت الحل : اذا لم يخرج الفحم فلا طعام لعائلات العمال . سنجعل العمال يأكلون فى المنجم ، وبهذا لن يستطيعوا توزيع حصصهم من الطعام على ذويهم فى المنزل. ذلك هو علاج المسألة : اما أن يعملوا ، أو يجوع أبناؤهم . لقد قلت لهم ذلك الآن .

هنتر : وماذا قالوا ؟

(يبدو الحنق على وجه لوفت وفى صوته)

لوفت : قالوا .. وماذا يقولون هم دائما ؟ لا شيء ، لا شيء بالمرة .. ولكن سنرى ان كان الفحم سيخرج أم لا ..

(يخلع معطفه وينفض عنه الثلج . ينظر الى الباب فيراه مفتوحا بعض الشيء . يسير على أطراف أصابعه نحو الباب . يفتحه فجأة متوقعا أن يجد أحدا يتسمع خلفه . لا يجد أحدا . يغلق الباب) .

ظننت أننى لم أقفل الباب باحكام ..

(كان پراكل أثنـــاء ذلك يقلب صحيفته طول الوقت)

پراكل : اننا نستعمل مدافع هائلة فى الشرق ، لم أر شيئا منها أبدا .. هل رأيت ذلك يا كاپتن ؟

لوفت : أوه ، طبعا . لقد رأيتها تطلق النار . انها مدهشة، لا يكاد يقف فى وجهها شىء .

تندور : كاپتن ! هل لديك أخبار كثيرة من بلادنا ؟

لوفت : بعض الأخبار .

تندور : هل كل شىء على ما يرام هناك ؟

لوفت : مدهش ! جيوشنا تتقدم فى كل مكان ..

تندور : ألم يهزم العدو الى الآن ؟

لوفت : هزم فى كل موقعة ..

تندور : ولكنه لا زال يحارب ..

لوفت : مناوشات خفيفة لا أكثر ..

تندور : اذن فنحـــن على أبواب النصر .. أليس كذلك يا كاپتن ؟..

لوفت : نعم .

تندور (فى شك) : أنت تعتقد ذلك بالطبع يا كاپتن ؟

پراكل : لا تدعه يبدأ فى هذه الأسئلة من جديد ياكاپتن

لوفت (لتندور) : لا أعرف ما تريد !

تندور : أريد أن أعرف ان كنا سنعود الى بلادنا قريبا .
هذا ما أريد أن أعرفه .

لوفت : حسنا ! ان تنظيم العودة يحتاج الى وقت . ان النظام الجديد لا يمكن اقراره فى يوم . هل ذلك ممكن ؟

تندور : ربما استمر ذلك الى آخر حياتنا !

پراكل : لا تدعه يبدأ فى هذا من جديد ..

(يقترب لوفت من تندور ويقول)

لوفت : كاپتن ! أنا لا أحب أسلوبك هذا فى السؤال ..
لا أحب نغمة الشك هذه .

هنتر : لا تكن شديدا معه يا لوفت . انه متعب . كلنا متعبون .

لوفت : اننى متعب أنا الآخر ، ولكنى لا أحب أن أرى هذه الشكوك التى تشوبها روح الهزيمة تتسرب الى نفوسنا .

براكل : لا تدع الشيطان يسيطر على أعصابه .. أين الكولونيل ؟ هل تعلم ؟

لوفت : انه يكتب تقريره طالبا نجدات جديدة . ان العمل هنا أكبر مما قدرنا ..

براكل : وهل سيحصل على هذه النجدات ؟

لوفت : كيف أعرف ؟

تندور : نجدات ! ربما كان المراد قوات تحل محلنا .. ربما كان المقصود أن نذهب الى بلادنا فترة قصيرة (يقول بلهجة يشوبها السرور وكأنه يحلم)

آه لو عدت ! اذن لاستطعت أن أسير فى الطرقات ، ولاستطعت أن أسمع الناس تحييني .. سيكونون مسرورين بي .. اذن لوجدت أصدقاء حولي ، ولاستطعت أن أدير ظهري للناس من غير خوف .

براكل : لا تبدأ فى هذا من جديد . لا تدع زمامك يفلت من يدك !

لوفت : (ممتعضا) : لدينا من المتاعب ما يكفينا ، ولا نريد أن نزيد على أعبائنا جنون رجالنا !

(يبدأ صـوت تندور يعـلو ، يتكلم فى لهجة عصبية)

تندور : هل تظن أن المراد بذلك ارسال جنود بدلا منا يا كاپتن ؟

لوفت : لم أقل ذلك .

تندور : ولكنك قلت : ربما !

لوفت : قلت اننى لا أعرف . لقد فتحنا نصف الدنيـا يا لفتنانت ، ولابد من بعض الوقت لكى ندعم قواعد الأمن فيه . أنت تعرف ذلك .

تندور : والنصف الآخر ؟

لوفت : سيقاتل أهله فترة من الزمن بدون أمل .

تندور : وهل لابد أن نبقى هذه الفترة مبعثرين على هذا النحو ؟

لوفت : بعض الوقت .

(پراكل يقول فى صوت عصبى)

پراكل : اننى أود أن تأمر باعتقاله . أود أن تعتقـله . ينبغى أن يكف عن ذلك ..

(تنــدور يخرج منديله ويتمخط . يتحدث الى نفسه كأن عقله اختلط .. ويضحك)

تندور : لقد رأيت حلما مضحكا .. أظن أن ذلك كان حلما .. ربما كنت أفكر ولا أحلم .. تفكير .. أو حلم ..

پراكل : كاپتن ! دعه يكف !

تندور : كاپتن ! هل هذا البلد قد فتح ؟

لوفت : طبعا ..

(تندور يقول بصوت هستيرى).

تندور : فتح ونحن خائفون؟.. فتح ونحن محاصرون؟..

(ضحكته تبدو عصبية)

لقد كنت أحلم .. أو أفكر .. اننى أسـير فى الثلج تطاردنى الخيالات السـوداء ، والوجوه تطل على من خلف الأبواب ، الوجوه البـاردة خلف الستر .. هل كنت أحلم .. أو أفكر؟..

پراكل : دعه يكف !

تندور : حلمت أن الزعيم قد جن !

(لوفت وهنتر يضحكان)

لوفت : لقد عرف العـدو أنه مجنون .. لا بد أن أكتب
بذلك الى العاصمة .. ستنشر الصحف ذلك .
لقد علم العدو بجنون الزعيم ..

(تندور يقول فى صياح عصبى)

تندور : فتوح بعدفتوح.. كل يوم نمضى أبعد وأبعد..
ونحن هنا أقدامنا تغوص فى هذا الطين ..
(يضحك ويخالطضحكه السعال فيخرج منديله)
الزعيم قد جن ! وقع الصـائد فى الفـخ الذى
نصـبه .. اسـتولى الذباب على مائتى ميل
جديدة من ورق صيد الذباب ..

(يضحك فى حالة هستيرية)

(پراكل ينحنى عليه ويهزه)

پراكل : كف عن هذا ! كف !

(يقفز لوفت الى تندور ويصفعه على وجهه)

لوفت : لفتنانت ! كف !

(تندور يزداد ضحكا .. يصفعه لوفت ثانيا)

كف ! هل تسمع ؟

(يتوقف تندور عن الضحك • يسود الغرفة هدوء
يسمع أثناءه وشيش المصابيح • تندور ينظر الى
يديه، ثم يمسح بهما وجهه • يميل برأسه على المائدة
ويرتمي عليها وهو يقول بصوت قريب من البكاء)

تندور : أريد أن أعود الى وطني ••

ســـتار

المنظر السادس

المتحدث : الشتاء ثقيل ، والبرد شديد ، والثلوج تتراكم، والرعب يتزايد ، والقرية هادئة ساكنة بين يدى الشتاء القاسى والخوف الشامل الذى يظلها : اذا هبط الليل ساد القرية وجوم القبور ، لا يسمع الا وقع أقدام جنود داورية المحتل بأحـذيتهم العسكرية الثقيلة . انهم مدججون بالسلاح من الرأس الى القـدم ، وكل منهم يحمل مصباحا كهربائيا طويلا فى يده

(المتحدث يختفى . يسمع صوت أقدام داورية تمر فى الطريق فى الخارج . يرتفع الستار شيئا فشيئا)

(غرفة مولى موردن . . متوسطة السعة ، نوافذها مغلقة جيدا . لا ينيرها الا مصباح غازى قوى على المنضدة الى اليسـار . على اليمين مدفأة يتلظى فيها لهب قليل . أثاث الغرفة بال عتيق يبدو فيه الفقر . ألوان الأثاث وورق الحوائط داكنة محزنة . على اليسار منضدة صـغيرة عليها ماكينة حياكة ، وعلى الحائط الأيسر لوحة كبيرة تمثل السيد المسيح

يخاطب الأمواج . المصباح الغازى مغطى بظلة ..
مولى موردن جالسة خلف المنضدة تحل خيوط صـديرى صـوفى قديم وتلفها كرة بين يديها . نظارتها امامها على المنضدة . انها شابة جميلة ، شعرها مرفوع الى أعلى رأسها ومربوط من أعلى بشريط أزرق . انها تعمل بهمة وسرعة وعناية ، وتنظر من حين الى حين الى النـافذة . يسـمع صوت مرورالداورية . مولى تدع العمل وتنصت. يبتعد وقع الأقدام ويتلاشى . تعود الى العمل . يسمع صـوت أقدام يقترب من الباب . تتوقف عن العمـل . تسمع ثلاث نقرات خافتة . تلتفت نحوالباب بكليتها ، وتنصت لحظة . تسمعالنقرات مرة ثانية . مولى تتجه نحو الباب وتقف لحظة)

مولى (فى خوف) : من ؟

(تسمع ثلاث نقرات خفيفة على الباب مرة أخرى. تضع ما كان بيدها على المنضدة وتذهب فتفتح الباب . تدخل آنى الطاهية متدثرة بمعطف ثقيل. هى امرأة قصيرة سمينة بعض الشىء ، فى الأربعين من عمرها . تسرع مولى باغلاق الباب بعناية . تسير الى مقعدها وخلفها آنى)

مولى : مساء الخير ياآنى .. لم أكن أتوقع مجيئك هذه الليلة . اخلعى معطفك وأدفئى نفسك .. البرد شديد فى الخارج ..

آنى : لقد أتى أولئك الجنود بالشتاء معهم قبل الأوان.

كان أبى يقول ان الحروب من أسـباب سـوء الجو .. أو أن الجو السيىء يسبب الحروب .. لا أتذكر ماذا قال بالضبط .

مولى : اخلعى معطفك واقتربى من المدفأة .

آنى : لا أستطيع .. انهم مقبلون ..

مولى (فى اهتمام) : من ؟ من هم المقبلون ؟

آنى : حضرة العمدة والدكتور وابنا آندرس .

مولى (فى دهشة) : هنا ؟ .. لماذا ؟

(آنى تخرج من ثيابها ربطة صغيرة وتقدمها الى مولى قائلة)

آنى : خذى هذه.. لقد سرقتها من طبق الكولونيل.. لحم ..

(مولى تفتح الورقة وتضع قطعة اللحم فى فمها وتقول وهى تمضغها)

مولى : هل تصيبون كثيرا من هذا ؟

آنى : اننى أقوم بشـؤون المطبخ .. ومن الطبيعى أن أصيب شيئا مما أطبخ ..

مولى : متى يأتون ؟

(آنى تصمت لحظة ، ثم تقول فى شبه همس)

آنى : ان ابنى آندرس سيبحران الى انجلترا هـذه الليـلة . لا بد لهما من الرحيل . انهما مختبئان الآن ..

مولى : ولماذا ينبغى أن يرحلا ؟

آنى : لأن أخاهما چاك قد أعدم اليوم لأنه حطم سيارة الألمان الصغيرة كما تعلمين .. والجنود ماضون فى القبض على بقية أفراد الأسرة .. أنت تعرفين أعمالهم ..

مولى (فى ألم ظاهر) : أجـل ، أنا أعرف أفاعيلهم .. اجلسى .

آنى : لا وقت عندى للجلوس .. لا بد أن أعود لأخبر العمدة بأن كل شىء على ما يرام هنا ..

مولى : هل رآك أحد قادمة هنا ؟

آنى (بزهو) : لا .. اننى عبقرية فى التسلل !

مولى : كيف سيخرج العمدة ؟

آنى (ضاحكة) : سيقوم چوزيف خادمه بالحلول محله

فى سريره أثناء غيابه .. تصـورى أنه سيلبس
قميص نومه ويرقد فى مكانه بالضبط .. الى جوار
سـيدتى !.. يحسـن بچوزيف أن يرقد فى
هدوء .. ووقار ..

مولى : انها ليلة مخيفة لا ينبغى الابحار فيها ..

آنى : ذلك أحسن على أى حال من الموت رميا بالرصاص.

مولى : طبعا . لماذا سيأتى العمدة الى هنا الليلة ؟

آنى : لاأدرى .. انه يريد التحدث مع ابنى آندرس..
لا بد أن أذهب الآن .

مولى : وهل سيأتون حالا ؟

(آنى تهز كتفيها وتقول)

آنى : بعـد نصـف السـاعة أو ثلاثة أرباعهـا ..
سأسبقهما وآتى قبلهما بدقائق .. ان مسيرى
لايستلفت انتباه أحد .. لاأحد يكترث للطاهيات
المسنات .. (ضاحكة) هل أنا حقيقة عجوز ؟..
(تمضى نحو الباب وتفتحه وتخرج فى حذر وتغلقه
خلفها . مولى تفكر لحظـة ثم تعود الى عملها .
تنهض ثانية وتحـرك النار فى المدفأة وتضع فيها

بعض قطـع من الفحم ثم تتجه نحو مقعـدها .
يسمع نقر على الباب . تقف لحظة واجمة)

مولى (لنفسها) : ماذا تراها نسيت ؟

(تتجه نحو الباب ثم تقول فى صوت خافت)

ماذا تريدين ؟

(تندور يقول من الخارج بصوت خافت)

تندور : افتحى الباب .

(تفتح الباب فى حذر . يدخل تندور على عجل .
تتراجع مولى فى خـوف وتقف موقف المتأهب
للدفاع عن نفسه)

مولى (فى رعب) : من أنت ؟ ماذا تريد ؟

تندور : لا أريد شرا .. صدقينى .. لا أريد شرا .

مولى : من أنت ؟ لا حق لك فى المجىء الى هنا .. ماذا
تريد ؟

(يسير تندور فى الغرفة بهدوء . يرتدى معطفه
الرمادى الثقيل وخوذته . يخلع الخوذة فى بطء ،
ويقول فى لهجة رجاء)

تندور : لست أريد أذى .. أرجو أن تسمحى لى بالبقاء
هنا لحظات ..

مولى (فى غضب) : ماذا تريد ؟

تندور : لا شيء يا آنسة .. أريد أن أتكلم ، هذا هو كل
ما فى الأمر .. أريد أن أسمعك تتكلمين .. هذا
كل ما أريد ..

مولى (سائلة) : أنت تفرض نفسك على ؟

تندور (فى خجل) : لا يا آنسة .. أرجو أن تأذنى لى
بالبقاء معك قليلا ، ثم أنصرف كما أتيت .

مولى : ماذ تريد ؟

تندور : ألا تستطيعين أن تصدقى ماأقول ؟ . دعينا ننس
هذه الحرب .. لحظة قصيرة ، قصيرة جدا .. ألا
نستطيع أن نتحدث معا .. كائنين من البشر ؟..
(مولى تنظر اليه نظرة طويلة، ثم تبدو على وجهها
ابتسامة ساخرة)

مولى : أنت لا تعرف من أنا .. هل تعرف ؟

تندور : رأيتك فى البلد .. كل ما أعرفه هو أنك جميلة ،
وأننى أرغب فى الحديث معك .

(مولى تنظر الى أدوات الحياكة وهى لا تزال تبتسم ، ثم تجلس فى بطء وتقول فى مرارة)

مولى : أنت اذن لا تعرف من أكون ؟.. تريد أن ترغب فى الحديث الى لأنك تشعر بالوحدة .. أليس كذلك ؟

(تندور يبتسم فى سذاجة ويقول فى تلعثم)

تندور : أجـل ، هو ذلك .. ها أنت تفهمين .. انني أشـعر بالوحدة تزهق أنفاسى .. أشعر كأنني مريض .. اننى أشـعر بالخوف وسـط هذا الهدوء وتلك الكراهية

(ثم يقول فى لهجة رجاء)

ألا نستطيع أن نتحدث قليلا ؟

(مولى تتنـاول حياكتها فى يدها ثم تنظر الى الباب وتقول)

مولى : لا تستطيع أن تبقى هنا أكثر من ربع ساعة .. اجلس !

(تنظر مرةأخرى الى الباب . تندور يتلفت نحوه فى خوف)

تندور : هل هنا أحد ؟

(يسمع صوت السقف يطقطق)

مولى : لا .. لا أحد هنــا .. ان الثلج كثير جدا على السقف ، وليس لدى أحد يزيله .

تندور : وهل لنا يد فى ذلك ؟

(مولى تحنى رأسها وتقول فى حزن)

مولى : نعم !

تندور : أنا آسف .. أرجــو أن يكون فى امكانى عمل شىء .. سأبعث رجالا يزيلون هذا الثلج .

(مولى تسرع فتقول فى حزم قاطع)

مولى : لا .. لا ..

تندور : ولم لا ؟

مولى : لئــلا يظن النــاس أن بينى وبينــك شيئا .. سيقاطعوننى ويطردوننى..وأنا لاأريد أنأطرد.

تندور : آه .. فهمت .. كلكم تكرهوننا هنا .. ولكنى مستعدلحمايتك .. دعينى أقم لك بهذه الخدمة.

(مولىيبدو علىوجههاالتفكيرالعميق ، تقول) .

مولى : ولكن.. لماذا ترجونى فى أن أتحدث اليك ؟..
ألست ضابطا فى جيش الفاتح ؟.. ألست واحدا
من الغزاة ؟.. ان رجالكم لا يكلفون أنفسهم
عناء طلب ما يريدون .. انهم يأخذونه أخذا..

تندور : ليس هذا ما أريد .. لا أريد أن أحصل على ما
أريد بهذه الطريقة ..

(مولى تضحك فى سخرية وتقول)

مولى : أنت تريد منى أن أحبك.. أليس كذلك بالضبط
يا لفتنانت ؟

تندور (فى تردد) : أجل .

(يرفع رأسه وينظر اليها فى رغبة)

أنت جميلة .. ما أجمل شعرك .. لم أر
وجها فيه من العطف قدر ما فى وجهك .. منذ
زمن طويل ..

مولى : أحقا تلمح هذا العطف فى وجهى ؟

تندور : أريد أن أشعر بذلك .. أريد أن أراه ..

مولى (ساخرة) : أنت تغازلنى يا لفتنانت .. أليس
كذلك ؟

تندور : (فى تلعثم) : أرجو أن تعطفى على.. أرجو ذلك من كل نفسى .. أريد أن أرى ذلك العطف فى عينيك.. رأيتك فى الشوارع .. وراقبتك وأنت تسيرين .. أعطيت الأوامر بألا يؤذيك أحد .. هل آذاك أحد ؟

مولى (فى مرارة) : شكرا .. لا .. لم يؤذنى أحد !

تندور (متشجعا) : أجل .. وقلت فيك شعرا .. أتسمحين أن أسمعك شيئا من هذا الشعر ؟

مولى (ساخرة) : قصيدة طويلة ؟ لا تنس أن عليك أن تذهب بعد لحظات .

تندور : لا .. انها أبيات رقيقة قليلة .. انها جزء من قصيدة

(يدخل يده فى صدر معطفه ويخرجها بورقة مطبقة ويناولها اياها . تفتحها وتقترب من المصباح الغازى وتقرأ)

ان عينيك فى سماواتها الزرقاء

لتملك على أمرى ولا تعفى سبيلى

وتدفع الى قلبى

بحرا من الأفكار العميقة ..

(تطوى الورقة بين أصابعها ثم تقول)

مولى : أنت صنعت هذا الشعر يا لفتنانت ؟

تندور : نعم .

مولى : صنعته لى ؟

تندور (محرجا) : نعم .

مولى : هل أنت متأكد أن هذا شعرك ؟

تندور (فى خجل) : لا ...

مولى : هل تعرف من قاله ؟

تندور : نعم .. هينريش هاينه .. انها قصيدة «بعينيك الزرقاوين» (Mit deinen blanen angen)

.. لقد أحببتها دائما ..

(يضحك تخلصا من المـأزق .. تضحك مولى كذلك . يتوقف عن الضحك ، ثم يلتفت اليها ويقول)

انى لم أضحك هكذا منذ زمن طويل .. لقد

قالوا لنـا ان النـاس سيحبوننا .. سيعجبون
بنـا .. ولكنا وجـدنا العكس تماما .. انهم
لا يحبوننا .. انهم يكرهوننا ..

(يغير نغمة حديثه وينظر اليها)

أنت جميلة .. جميلة كالضحك ..

مولى : عدت الى الغزل يا لفتنانت .. لابد أن تخرج من هنا بعد قليل ..

تندور : ربما كان الواقع أننى أريد أن أغازلك .. ما المانع ؟ كل انسـان فى حاجة الى الحب .. بدون الحب يموت الانسان .. قلبه يظلم وصدره ينطبق .. انى وحيد !

(تنهض مولى فجأة وتنظر نحو البـاب فى قلق ثم تسـير نحو المدفأة ، تنظر الى تندور وتقول فى لهجة جافة)

مولى : لفتنانت ! ماذا تريد منى ؟

تندور : لا أريد شيئا .. لماذا تتكلمين هكذا يا آنسة ؟

مولى : انى لا أريدك هنا .. اننى أرملة .. توفى عنى زوجى منذ قريب .. اننى لست آنسة ..

تندور (راجيا) : كل ما أريد هو ألا تنفرى منى ..

مولى (فى عنف) : لفتنانت ! أنت تنشـد الحب ..
ولكنك رجل متحضر تعرف أن الحب لا يكون
الا اذا كان هناك ميل .

تندور : لا تتكلمى هكذا .. أرجو ألا تتكلمى هكذا .
(مولى تنظر الى الباب وتقول)

مولى : نحن شـعب مغلوب يا لفتنـانت . لقد نهبتم
طعامنا .. اننى جائعـة .. والجائع لا يفكر فى
الحب .

تندور : ماذا تقولين ؟

مولى : هذا هو الواقع .. كلنا هنا فى جوع شديد..
أنت تريد حبا .. وأنا أريد طعاما .
(تبدو الشفقة على وجه تندور ، يقول فى عطف
ورجاء)

تندور : سيدتى ..

مولى : لفتنـانت ! أنتم اليـوم منتصرون .. ولكنكم
تنسون حالكم بعد الهزيمة فى الحرب الماضية ..
هـل كانت نسـاؤكم يفـكرن فى الحب أم فى

الطعام ؟.. ربما فكرن فى الحب ، ولكن فى مقابل الطعام .. فى مقابل بيضة مثلا ..

تندور : (مفكرا) : أنت تكرهينني يا سيدتى .. اننى أرى ذلك بوضوح .. كنت أتمنى لو أنك على خلاف ذلك ..

مولى : لا .. اننى لا أكرهك أنت بالذات .. اننى أكرهكم .. لا ينشأ مع الجوع الا الكراهية .

تندور : سأعطيك كل ما تريدين .. ولكن .. لا أحب أن أعطى ذلك فى مقابل الحب .. اننى أحس فى كلامك لهجة كراهية عميقة ..

مولى : ماذا تريد ؟ ليس لطيفا أن يشعر الانسان بالجوع

(تنظر اليه نظرة غريبة)

ان شريحة من اللحم الطرى لهى أجمل شىء فى الوجود ..

تندور : لا تقولى ذلك .. أرجوك !

مولى : ولم لا ؟ أليس هذا حقا ؟

تندور : لا.. ليس هذا صحيحا ، ولايمكن أن يكون..

(مولى تفكر لحظة ثم تقول وكأنها تناجى نفسها)

مولى : لا .. هذا ليس بصحيح .. اننى لا أكرهك .. اننى وحيدة أيضا.. مثلكم تماما.. ثم ان الثلج كثير جدا على سقف بيتى ..

(يقف تندور ويتقدم منها ويتناول يدها بين يديه ويقول فى رقة بالغة)

تندور : لاتكرهينى.. أرجوك .. اننى ضابط صغير.. اننى لم أستأذنك فى المجىء الى هنا .. وأنت لست عدوتى .. اننى رجل ، مجرد رجل .. لا تنظرى لى كواحد من الغزاة ..

(مولى تسحب يدها فى رفق وتقول)

مولى : أنا أفهم ذلك .. أفهمه جيدا .

تندور : ان لنا حقا فى شىء من الحياة وسط هذا الموت الشامل ..

مولى (فى رقة) : أجل .. لكم الحق فى ذلك ..

(تندور يضع يده على كتفها)

تندور : سأعنى بك .. سأتولى حمايتك .. نحن الجنود لنا حق الحياة وسط هذه المقتلة الشاملة..

(مولى تسبح فى أفكار بعيدة . ملامحها تتجهم

وعيناها تتسعان وتنظر فى الفضاء ، يبدو على وجهها ألم وحسرة شديدان)

تندور : ماذا حدث ؟ ماذا حدث ؟

(مولى تتحدث كالحالمة)

مولى : لقد ألبسته ملابسه كأنه صبى ذاهب الى المدرسة لأول مرة •• زررت له قميصه وهدأت من روعه •• ولكنه كان أخوف من أن يهدأ •• كان خائفا •

تندور : ماذا تقولين ؟

(مولى تستمر فى الكلام بنفس اللهجة)

مولى : لا أدرى لماذا سمحوا له بأن يجىء الى بيته •• كان مضطربا •• كان لايدرى ماذا يدورحونه •• بل انه لم يقبلنى ساعة خرج •• كان خائفا •• وكان شجاعا جدا ، كصبى ذاهب الى المدرسة أول مرة ••

تندور : تتحدثين عن زوجك ؟

مولى : أجل ••

تندور : اذن هو زوجك الذى ••

(مولى تقاطعه فى عنف)

مولى : أعدمتموه ! ذهبت الى العمدة أتشفع له ، ولكن لم تكن له حيلة .. ثم خرج وسار .. لم تكن خطاه ثابتة ولامتزنة .. وأخذتموه ، وأعدمتموه بالرصاص .. لم يكن الأمر مرعبا بقدر ما كان غريبا لا يصدق .. لم أصدق اذ ذاك أن ذلك ممكن .

تندور : اذن كان هو زوجك ؟

مولى : أجل .. زوجى ! والآن .. بعد أن وجدت نفسى وحيدة فى البيت ، تيقنت أن ذلك كان حقيقة .. وفى كل فجر ، عندما أجد نفسى وحيدة جدا .. أزداد يقينا بأن ذلك كان حقيقة ..

(تندور يحنى رأسه فى ألم بالغ)

تندور : اذن .. مساء الخير .. ليحفظك الله .. هل تأذنين لى فى زيارتك مرة أخرى ؟

مولى : لا أدرى .

تندور : سأعود ..

مولى : لا أدرى ..

(تندور يسير نحو الباب على مهل . نظر مولى مثبت فى الحائط ، وتقول ساخرة وهى سابحة فى أفكارها)

أجل .. ليحفظنى الله !

(يخرج تندور .. تظل مولى مكانها .. بعد لحظة قصيرة تدخل آنى وتتقدم من مولى وتقول فى خوف)

آنى : مولى ! كان الباب مفتوحا ..

مولى (شاردة) : أجل يا آنى .. كان مفتوحا ..

آنى : وقد رأيت من بعيد رجلا خارجا .. هيئته تدل على أنه عسكرى .

مولى : أجل .. عسكرى ..

آنى : ماذا كان يريد ؟

مولى : أتى يغازلنى ..

آنى : سيدتى .. ماذا حدث ؟ أتراك انضممت اليهم ؟ أنت لست معهم ، مثل ذلك الخسيس كوريل ؟

مولى : لا .. لست معهم يا آنى ..

آنى : سيأتى العمدة الآن .. لو عاد هذا العسكرى الآن لحدث شىء فظيع .. وستكونين أنت المسؤولة .

مولى : انه لن يعود .. لن أسمح له بالعودة .

(يبدوالتوجس والارتياب فى وجه آنى وصوتها)

آنى : ان العمدة ورجاله قريبون من هنا .. هل أطلب اليهم أن يدخلوا ؟.. أنت واثقة من أن الدار أمان ؟

مولى : أجل .. كل الأمان .. أين هم ؟

آنى : انهم مختفون وراء السور ..

مولى : قولى لهم أن يأتوا ..

(تخرج آنى . مولى تصلح من هيئتها ، وتقف فى وسط الحجرة فى انتظار القادمين . بعد لحظة يدخل شابان أشقران طويلان ، يرتدى كل منهما چاكتة من الجلد تحتها «سويتر» ذو رقبة عالية . هما ويل آندرس وتوم آندرس)

ويل : مساء الخير يا مولى .. أنت على علم ..

مولى : قالت لى آنى كل شيء . انها ليلة سـيئة الجو لايؤمن فيها الخروج الى عرض البحر فى زورق .

نيل : انها أكثر صلاحية من الليـالى الصاحية .. فى مثل هذا الجو لا ترانا الطائرات . مولى ، ماذا يريد العمدة منا ؟

مولى : لا أدرى ... بلغنى ما وقع لأخيـك ، وقد أجزننى ذلك .

(ينظر الأخوان الى الأرض ، ثم يقول توم)

توم : أنت تعرفين أكثر من غيرك فى أى جو نعيش .

مولى : نعم .. أعرف .

(تدخل آنى وتقول فى همس)

آنى : هما هنا .. أهما هنا ؟

(يدخل العمـدة والدكتور وينتر . يخلعـان معطفيهمـا وقبعتيهما ويضـعانها على كرسى . يتقدم أوردن من مولى ويقبلها فى جبينها)

أوردن : مساء الخير يا عزيزتى ..

(ثم يلتفت نحو آنى ويقول)

قفى فى مدخل البيت يا آنى .. انقرى نقرة اذا
رأيت الداورية مقبلة ، ونقرة أخرى بعـــد أن
تمر ، وفى حالة الخطر اضربى مرتين متواليتين ،
ولا بأس بأن تتركى الباب مفتوحا قليلا بحيث
يمكنك رؤية ما يحدث فى الطريق .

آنى : سمعا !

(تخرج الى مدخل البيت وتغلق الباب خلفها)
(وينتر يدفىء يديه عند المدفأة ويقول)

وينتر : اذن أنتما ذاهبان الليلة يا ولدى ؟

توم : لا مفر من ذلك .

أوردن : سمعنا أنكما ستأخذان كوريل معكما ..

توم (ضاحكا) : كنا نتمنى ذلك .. سنكتفى بأخذ
زورقه .. من الخطر ترك هذا الرجـــل هنا ..
ومن المؤلم رؤيته يسير فى الطرقات ..

أوردن (فى جد) : اذن فأنتمـــا تفكران فى تخليصـــنا
منه ؟..

توم : اذا استطعنا ..

أوردن : ذلك خطر عليكما ..

توم : انه لمما يسوء النـــاس أن يروه هنا •• انه شر عليهم •

وينتر : هل يمكنكما اختطافه ؟ أتظنـــان أنه ليس آخذا حذره ؟

توم : طبعا •• هو شديد الحذر •• ولكنه يتوجه الى بيته كل ليلة عند منتصف الليل ، وسنتربص له عند نهاية سور الحديقة •• ونجذبه الى البحر•• الى قاربه •• لقد أعددناه تماما •• وكنا فيـــه منذ قليل •

أوردن : أفضل لو تصرفان النظر عن ذلك ، لأنى أخشى أن يصيح فتأتى الداورية على صياحه •

توم : لا تخف •• لن ندع له الفرصـــة ، ولن نحدث أى ضـــوضاء •• ثم انه خير لنـــا أن نغرقه فى الماء • لأننـــا لو قتلناه فى عرض الطريق لوقعت معـــركة بين النـــاس والجنود ولمات كثيرون ، ونحن لا نريد ذلك ••

(مولى تنصرف الى حياكتها وتقول)

مولى : هل ستأخذانه معكما فى القارب ؟

توم : سنلقى به فى الماء يا سيدتى ..

(يلتفت الى العمدة ويقول)

: هل أردت رؤيتنا يا سيدى ؟

أوردن : أجل.. أردت أن أتحدث اليكما .. لقد بحثت الموضوع طويلا من الدكتور وينتر . ان الناس هنا يتحدثون كثيرا عما يجرى من الظلم .. ان شعبنا كما تعرفان قد غلب على أمره ، ولكنه لم ينهزم ..

(تسمع نقرة الخطر على الباب . يتوقف العمدة عن الكلام وتظل يده مرفوعة فى الهواء . توم يتوقف عن حك رأسه وتظل يده كما كانت . مولى تدع حياكتها . صمت تام يشمل الحجرة. تسمع خطوات جنود الداورية أثناء سيرهم فى الخارج . الخطوات تقترب شيئا فشيئا حتى تسمع وراء الباب مباشرة . يسمع كلام الجنود بعضهم لبعض أثناء المرور . تبتعد الخطوات ويخفت الصوت شيئا فشيئا. تسمع نقرةالأمان على الباب . يعود النشاط الى الحجرة من جديد)

أوردن : مسكينة آنى •• ان البرد شديد عليها وهى فى موقفها هذا تراقب •

(يتناول معطفه من فوق الكرسى ويفتح الباب الداخلى ويناوله لآنى قائلا)

آنى ! ضعى هذا على كتفيك •

(يعود الى الحجرة ويقول)

لا أدرى ماذا كنت أفعل بدونها •• انها تتسلل الى كل مكان ، وترى وتسمع كل شىء •

وينتر : أظن أنه من المستحسن أن تدعا كوريل •

توم : غير ممكن •• ليس من الخير فى شىء تركه يتمشى فى الطرقات هكذا ••

(ينظر الى أوردن متسائلا)

(أوردن يقول لهما فى هدوء وبطء)

أوردن : أريد أن أوضح لكما الأمر • هذه مدينة صغيرة • ان الأمور كلها تجرى هنا فى حدود ضيقة ، حتى العدالة والظلم يأخذان تلك الصورة الصغيرة ، لقد قتلوا أخاكما ، ومن قبل قتلوا أليكساندر موردن ، ولابد من الانتقام من الخائن • ان الناس

في غضب بالغ ، ولكنهم عاجزون عن أخذ ثأرهم بأيديهم . انهم ضعفاء أمام خصومهم . ان الصراع هنا ليس صراعا حول أفكار، بل صراع جماعة مع جماعة .

وينتر : قد يبدو غريبا أن يفكر طبيب مثلي في التخريب، ولكن كل شعب مغلوب يتوق الى المقاومة . اننا عزل من السلاح ، وأرواحنا وأجسامنا لاتكفي لخوض المعركة ، والرجل الأعزل تنقصه الشجاعة دائما .

ويل : هل أستطيع أن أسأل : ماذا تريدون مني ؟

أوردن : نحن نريد أن نقاتل ، ولكننا نشعر بالعجز عن ذلك . انهم يعذبون الشعب بالجوع ، والجوع ينشأ عنه الضعف. وانتما الآن ذاهبان الى بلاد لا يحتلها العدو . ويحتمل ألا تجدا هناك من يصغي اليكما ، ولكننا نرجوكما رغم ذلك أن تقولا لهم نيابة عنا أن يبعثوا لنا سلاحا .. أن عدوا يد العون لقرية صغيرة .

توم : هل تريدون بنادق ؟

(تسمع نقرات سريعة على الباب . يسكن الجميع تماما . يسمع وقع خطوات داورية الجنــود فى الخارج وأصوات أقدام مقبلة على عجل . يبدو الرعب فى عيــون المجتمعين . تبتعد أصــوات الخطوات ويســود السكون من جديد . طوال هذه الفترة ظل العمدة مكانه لايتحرك ، وكذلك بقى الجميع فى أماكنهم كأنهم تماثيــل . عندما ابتعدت الخطوات تحرك الجميع وعاد النشــاط الى الحجرة)

مولى : لابد أنهم يبحثــون عن أحــد .. ترى عمن يبحثون ؟

توم : قلت اننا فى حاجة الى بنادق .. هل نطلب اليهم أن يرسلوا بنادق الى هنا ؟

أوردن : لا . أخبراهم أولا عن الحال هنا . اننا مراقبون مراقبة دقيقة ، وأى خطوة من جانبنا ســتدفع العــدو الى الانتقام .. لو كان من الممكن أن نحصــل على أسلحة سرية بســيطة .. مواد متفجرة .. ديناميت لنسف الخطوط الحديدية .. قنــابل يدوية .. سموم ، اذا أمكن .. انهــا

ليست حربا شريفة .. انها حرب خيانة وقتل..
لماذا لا نستعمل الوسائل التى تستعمل معنا ؟
قولوا لأصدقائنا أن يلقوا قنابلهم على المصانع
وأن يرسلوا الينا ببعض القنابل لنستعملها ..
قنابل صغيرة نستطيع أن نخفيها وندسها تحت
قضبان السكك الحديدية ، أو تحت ناقلات
البترول .. هنا لا نصبح عزلا ، سنكون
مسلحين بأسلحة سرية ، ولن يعرف العدو من
منا المسلح.. قولوا لهم أن يرسلوا الينا أسلحة
سرية ، ونحن نعرف كيف نستعملها .

وينتر : عند ذلك لن يعرف العدو من منا يحمل سلاحا،
ولا متى تقع الضربة .

توم : اذا وصلنا الى هناك سنقوم بهذه المهمة ، ولكنا
سمعنا أن حكومة البلد الذى سنذهب اليه
لا تريد أن تسلم الشعوب أسلحة .

أوردن : هذا خطأ . معنى ذلك أن الشعوب لن تتحرر
أبدا . لابد لنا من معونة

(يتجهم وجهه ويقول فى حزم)

اذا حصلنا على الأسلحة عرفنا كيف نستعملها .

وينتر : لو أنهم بعثوا الينا بديناميت نستطيع اخفاءه فى باطن الأرض لنستعمله فى وقت اللزوم !.. اذن لما أمن الغزاة فى بلدنا بعـد ذلك أبدا .. اذن لاستطعنا أن ننسف مؤنه على الأقل ..

مولى (متحمسة) : اذن لاستطعنا أن نقض مضجعه .. وحرمنا عليه النوم وراحة الأعصاب وهذه الثقة التى يشعر بها .

ويل (فى هدوء) : أهذا كل شىء ؟

أوردن : نعم .. هذا هو لباب ما أريد .

ويل : واذا لم يصغوا الينا ؟

أوردن : عليكما بالمحاولة .. هذا هو المطلوب منكما .

ويل : هذا كل شىء اذن ..

(يفتح الباب وتدخل آنى فى هدوء)

(أوردن ينظر اليها ثم يقول مستمرا فى كلامه)

أوردن : هذا هو كل شىء.. سأنادى آنى لتكشف لكما الطريق قبل الخروج .

آنى : هناك جندى مقبل نحونا .. انه يشبه الجندى

الذى كان عنـــد مولى منذ حين •• كان هنـــ
جندى عند مولى •

(الجميع ينظرون الى مولى متسائلين)

آنى : لقد أغلقت الباب •

مولى : ماذا يريد ؟

(يسمع نقر خفيف على الباب)

(أوردن ينظر الى مولى طويلا ثم يقول)

أوردن : مولى •• أى أمر هذا ؟• هل يضايقونك ؟

مولى : لا •• لا •• اخرجـــوا من البـــاب الخلفى ••
أسرعوا •

(الطرق يســـتمر على الباب • صـــوت تندور يناديها من الخارج • تسرع بفتح الباب المؤدى الى المطبخ وتقول لأوردن ومن معه)

أسرعوا •• هيا ••

أوردن : لماذا يتعقبونك ؟• انك لم تفعلى شيئا ••

آنى (فى هدوء) : ان منظره يشـــبه الجندى الذى كان هنا منذ قليـــل •• لقد كان هنا جنـــدى ألمانى يا حضرة العمدة ••

(مولى تنظر الى أوردن فى ثبات وتقول)

مولى : نعم كان هنا جندى ألمانى ..

أوردن : ماذا كان يريد ؟

مولى : كان يريد مغازلتى .

أوردن : ولكنه لم يفعل ؟..

مولى : لا .. لم يفعل .. اذهب وسأكفيك أمره ..

أوردن : اذا كنت فى صعوبة فدعينا نساعدك .

مولى : لا أحد يستطيع معاونتى فى مثل هذا الموقف.، اذهب الآن

(تدفعه الى الخارج فى رفق . يخرجون جميعا وتبقى آنى وحدها معها. تقترب منها وتقول فى همس فيه ريبة)

آنى : سيدتى .. ماذا يريد هذا الجندى ؟

مولى : لا أعرف ماذا يريد ..

آنى : هل ستطلعينه على شىء ؟

مولى (فى ذهول) : لا

(ثم تنتبه فتقول فى حدة)

لا .. لن أطلعه على شيء .

آني : من الأفضل ألا تقولى له شيئا ..

(تخرج مسرعة وتغلق البـاب خلفها . يسمع الطرق على البـاب . تندور ينادى باسم مولى بصـوت خافت . مولى تذهب نحو المنضـدة وتنظر الى المصباح ثم تتلفت حواليها . تتناول المقص الكبير وتتأمله لحظة . تمسك بمقبضه كما يمسك الانسان بسكين ، وتنظر الى نصل المقص طويلا. نور المصباح ينعكس على وجهها فيبدو متغضنا جامدا عليه معالم العزم الشديد. تخفى المقص فى فتحة صـدرها . يستمر الطرق على البـاب . تطفىء النور فلا يبقى من الضوء فى الحجرة الا ضـوء نار المدفأة . تسير فى تؤدة نحو الباب وهى تقول)

مولى : أنا قادمة .. لحظة يا لفتنانت .

(يسمع فتح البـاب ، ثم صـوت ضربة عنيفة مكتومة . صوت تندور يتحشرج ..)

ستـار

المنظر السابع

المتحدث : الشتاء يزحف ، والثلوج تتراكم ، والقرية كلها تكاد تختفى تحت هذا الركام الأبيض الكثيف .. حتى وقع الأقـــدام يتلاشى فى بســـاط الثـــلج الممدود .. داوريات المحتـــل تطوف شـــوارع القرية فى ظلام الليل الدامس .. تسير جماعات صامتة حزينة يملأ قلوبها الفزع . من بعيد يترامى صـــوت كلب يعوى ويعول على صاحبه الذى مات ! وفى سكون الليـــل يسمع فى الجو أزيز طائرات تختفى فى السحاب وتبرز من ثناياه .. ثم تهبط شيئا فشيئا وتلقى بأشياء صغيرة تحملها مظلات واقية زرقاء اللون تحلق فى الفضاء كأنها فراشات رقيقة .. تهبط رويدا رويدا حتى تحط على الثلوج ، ثم تنضم أجنحة المظلة كأنها تحنو على حملها .. ويخرج الناس فى خوف من المحتل ، فيجمعون هذه الأشياء ويسرعون بها الى بيوتهم .

الأطفال كذلك يتســابقون الى جمعها •• وفى
صمت البيوت يفتح الناس هذهاللفافات ليجدوا
فيها قنــابل صــغيرة يســارعون الى اخفائها
لاستعمالها عند اللزوم ••

(يرفع الستار رويدا عن غرفة العمدة التى تشغلها
قيادة قوة الاحتلال . الغرفة خالية والساعة تدق
التاسعة صباحا ، ولكن النور ضئيل يدل على أن
اليوم يوم شتوى حزين مظلم . آنى تدخل الحجرة
وبيدها المنفضــــة ، تقترب من مكتب الكولونيــل
لانسر وتنظر الى الأوراق فى خوف وحذر . يسمع
صــوت أقدام تنزل الســلم على عجــل . يدخل
الـكابتن لوفت الحجــرة ويرى آنى واقفــة قرب
المكتب . ينظر اليها لحظة ثم يقول)

لوفت : ماذا تفعلين هنا ؟

(آنى تروعها المفاجأة)

آنى : أنا يا سيدى ؟

لوفت : قلت : ماذا تفعلين هنا ؟

آنى : أردت أن أنظف الحجرة ••

لوفت : دعى كل شىء على حاله •• واذهبى من هنا ••

آنى : حاضر ••

(تسير نحو الباب فى خوف • تنتظر حتى يتنحى

عنه ثم تفلت على عجل • لوفت ينظر نحو الباب ويقول)

لوفت : تعال •• هاتها هنا ••

(يدخل جندى مدجج بالسلاح من قمة رأسه الى أخمص قدميه • يحمل فى يده عددا من اللفافات التى تلقيها الطائرات تتدلى منها المظلات الواقية الزرقاء الصغيرة)

ضعها على المنضدة ثم اصعد الى الكولونيل لانسر وأبلغه أننى هنا ومعى نماذج من هذه الأشياء التى تلقيها الطيارات المعادية •

(الجندى يضرب قدميه فى هيئة عسكرية بروسية وينصرف • يتقدم لوفت من المنضدة ويتناول واحدة من هذه اللفافات فى حذر شديد ، وينزع المظلة الواقية فى رفق • يدخل الكولونيل لانسر يتبعه الميجر هنتر • يلقى التحية الى لوفت ويأخذ مكانه على الكرسى الرئيسى الى المنضدة • يتناول واحدة منها وينظر فيها ثم يلتفت الى لوفت ويقول)

لانسر : اجلس يا هنتر •• هل فحصت هذه ؟

هنتر (يجلس) : لا ، لم أفحصها بعد تماما

(ينظر فى ورقة فى يده ويقول)

حدثت ثلاثة انفجارات فى أمكنة مختلفة من الطريق الحديدى فى مسافة عشرين ميلا ..

لانسر : حسنا . افحص هذه وقل لى رأيك ..

(هنتر يتناول احدى الأنابيب ، ينزع غطاءها فى حذر ، ثم يستخرج مدية ويفتح الأنبوبة من الجانب . لوفت ينظر من خلفه فى خوف)

هنتر : ما أسخف هذا .. انه ديناميت عادى تجارى . لا أعرف نسبة النيتروجليسرين فيه بالضبط ، لابد أن أبحث ذلك

(ينظر فى الأنبوبة من طرفها الآخر لحظة ، ثم يفرغ الديناميت على المائدة ويضع الأنبوبة)

انها قنابل رخيصة وبسيطة جدا ..

لانسر : كم تظن أنهم ألقوا من هذه القنابل ؟

لوفت : لا أدرى بالضبط .. لقد جمعنا نحو خمسين منها الى الآن ، وعثرنا كذلك على نحو ٩٠ من المظلات الواقية دون قنابل .. لا أدرى لماذا

ينزع أولئك الناس المظلة الواقية ويلقونها ويكتفون بحفظ القنابل •• لابد أن لديهم كثيرا منها ••

لانسر : هذا أمر لا يهم •• نحن لا نستطيع منع الطائرات من القائها •• ولا يمكننا استعمالها ضدها •• وعلى أى الأحوال ، انهم لن يغلبونا بهذه الأشياء ••

لوفت (فى غيظ) : اننا نستطيع ازالتهم عن وجه الأرض ••

(هنتر يحاول أن ينزع الغطاء النحاسى من احدى القنابل)

(لانسر يشير الى ربطة أخرى يختلف شكلها عن غيرها ثم يقول فى شىء من السخرية)

لانسر : نعم •• نستطيع ذلك !

(مخاطبا هنتر)

هل فحصت هذه اللفافة ؟

هنتر : ليس بعد •

(لانسر يتناولها فى حذر ويقول)

لانسر : ان منظرها شيطانى.. غلافها من الورق الأزرق
لكى يراها الناس بوضوح فى بياض الثلج
(يستمر فى فتحها ثم يقول)
عجيب .. انظر ، هذه قطعة من الشيكولاتة
(يضعها فى فمه)
وجيدة أيضا .. اننى أفهم الآن لماذا يجتهد
الأولاد فى البحث عنها .

(يدخل جندى ويسير فى هيئة عسكرية ويضع أمام الكولونيل لانسر ورقة صفراء مربعة ، يتأملها لانسر ثم يضحك ضحكة فيها سخرية ومرارة ويقول)

هنتر ! أخبار سارة لك .. انفجاران آخران
على الطريق الحديدى ..

(كان هنتر منشغلا بفحص الغطاء النحاسى لاحدى القنابل ، يرفع رأسه ويصمت لحظة ، ثم يقول)

هنتر : كيف يمتد هذا الأمر الى ذلك المدى ؟.. هل
ألقوا هذه اللفافات اللعينة فى كل مكان ؟

لانسر : هذا ألطف ما فى الموضوع .. لقد تحدثت مع العاصمة فىأمر هذا الديناميت الذى يهطل علينا كالمطر ، فعلمت أنه لم ينزل الا هنا ..

هنتر : وماذا تستنتج من ذلك ؟

لانسر : من العسير أنأستنتج شيئا.. أظن أنهميعتبرون قريتنا هذه حقل تجربة .. فاذا نجحت عمموها فى كل مكان آخر .. واذا لمتفلح انصرفوا عن الموضوع ..

هنتر : ماذا عساهم يدبرون ؟

لانسر : الأوامر التى تلقيتها من العاصمة تقضى بضرورة افســاد خطة العدو واحباط تجربته هنا ، حتى لا يكررها فى مكان آخر .

(هنتر تتوتر أعصابه ، يقول فى حدة وألم)

هنتر : كيف أستطيع اصلاح خمسة كسور علىالطريق الحديدى فى آن واحــد ؟. كيف ؟.. لا أملك الآن قضبانا جديدة كافية للاصلاح السريع ..

لانسر : أظن أنك ستضطر لنزع بعض القضبان الجانبية واستعمالها .

هنتر : هذا يفسد الطريق الحديدى ويجعله عسير الاستعمال .

(لانسر يلقى بالأنبوبة الفارغة بين كوم الأنابيب على المنضدة وينظر الى من حوله متسائلا)

لوفت (متحمسا) : لابد من وضع حد لهذا الأمر الآن يا سيدى .. لابد من القبض على من يلتقطون هذه اللفافات قبل أن يستعملوها .. لابد أن نعمل شيئا حتى لا يظن أولئك الناس أننا ضعاف ..

(لانسر ينظر اليه مبتسما فى مرارة)

لانسر : هون عليك يا سيدى .. لندرس الموضوع أولا ، ثم نفكر فى علاجه بعد ذلك .

(يتناول لفافة ويستخرج ما فيها ، ويضع قطعة الشيكولاتة فى فمه)

هؤلاء الشياطين .. انهم يعرفون كيف يدفعون الناس الى البحث عن هذه الأشياء اللعينة .. أتدرى من الذى يجتهد فى جمعها ؟ الأطفال !. هم الذين يسرعون بجمعها طمعا فى الشيكولاتة..

انها من صنف جيد .. أنا شخصيا لا أستطيع مقاومة الرغبة فى جمعها ! الأولاد يعثرون عليها وينبشـون الأرض بحثا عنها ، ثم يسرعون بها الى البيوت .. وهناك يقتسمون محتوياتها مع آبائهم : الشيكولاتة للأولاد ، والدينـاميت للكبار .. تفكير سليم ..

(يلتفت الى هنتر) .

قل لى .. ما حقيقة هذه القنابل بالضبط ؟

هنتر : قلت انها قنـابل رخيصـة جدا ولكنها أكيدة المفعول فى العمليـات الصغيرة : أنبوبة محشوة بالديناميت مغطاة بغطاء محكم من النحـاس .. اذا نزعته وحركت الزناد انفجرت بعد دقيقة .. انها عظيمة الفائدة اذا عرفت كيف تستعملها.. فاذا لم تعرف لم يكن لها أى نفع .

(لانسر يفرد احدى اللفافات ، وينظر فى الورق. يرى كلاما مكتوبا . يطيل النظر فيه ، ثم يقول لهنتر) .

لانسر : هل قرأت هذا ؟

هنتر : قراءة سريعة ..

لانسر : لقد قرأته .. وأحب أن تصغى اليه باتنباه
(يقرأ الورقة)

« الى الشعب الذى لا يغلب ! أخفوا هذه .
لا تعرضوا أنفسكم للأذى . ستفيدون منها
فيما بعد . انها هدية لكم من أصدقائكم ،
وعليكم بدوركم أن تهدوها الى أولئك الذين
يحتلون بلادكم . لاتحاولوا أن تحققوا مشاريع
ضخمة بها

(يزداد تدقيقا فى النظر ويقرأ ببطء)

اليكم التعليمات : لاستعمال هذه الهدايا فى
نسف القضبان الحديدية : ضعوا الأنبوبة تحت
القضبان على مقربة من نقط الالتحام وأحكموا
وضعها. ثبتوها جيدا واردموهابالتراب أوالثلج
ودكوه دكا بحيث تتأكدون أنها ثبتت فى مكانها.
ثم أشعلوا الفتيل. ستنفجر بعد أن تعدوا ستين»

(يرفع رأسه وينظر الى هنتر وكأنه يطلب تعليقا)

هنتر : انها تصبح أكيدة المفعول على هذه الصورة ..

(لانسر يعود الى الورقة وينقل البصر فيها)

لانسر : وهناك تعليمات أخرى كثيرة مفصلة : هنا تقول انها اذا استعملت عندالكبارى أضعفتها ولكنها لا تهدمها

(يدير الورقة ويقرأ)

وهنا : لنسف أعمــدة التليفون والتلغراف ..
ثم : لنسف سيارات النقل .. وهكذا

(يرفع رأسه عن الورقة)

هذه هى التعليمات ..

لوفت (فى عصبية) : لابد أن نعمل شيئا .. لابد أن تكون هناك وسـيلة لايقاف هذا البـلاء .. ما رأى القيادة العليا ؟

(لانسر يمسح عينيه بيديه ويتناول احدى الأنابيب الفارغة بيده ويعبث بها)

لانسر : لم أتلق شيئا .. ولكنى أستطيع أن أتنبأ بالأوامر التى سيصدرونها الينا .. سيقولون : انصبوا الشراك فى كل مكان .. سمموا قطع الشيكولاتة وأعيدوا وضعها فى أماكنها ..

(يصمت لحظة . يلتفت الى هنتر ويقول)

هنتر ! انني رجـل طيب مخلص للكفاح الذي نقـوم به ، ولكنني عنـد ما أتلقى التعليمـات العجيبة التي تصـدرها الينا القيـادة العليا ، أتمنى لو كنت مدنيـا .. بل أتمنى لو كنت مدنيـا عجوزا محطما .. انهم يظنون دائما أنهم ازاء ناس أغبياء .. لا أظن أن هذه التعليمات تدل على ذكاء ..

هنتر : هل هذا رأيك ؟

لانسر (في حزم) : لا .. ليس هـذا رأيي .. ماذا سيحدث اذا فعلنا ذلك ؟. سيقع رجل في أحد الشراك التي سننصبها وسيتمزق ارباه.. وسيأكل غلام الشيكولاتة المسمومة فيموت .. وينتهي ضررها عند ذلك .. الناس هنا أذكياء وليسوا أغبياء كما نظن .. سيعمدون الى تفجير القنابل دون أن يمسـوها .. ولن يمس غـلام ثان تلك الشيكولاتة .. انهم ليسـوا من الغباء بحيث يلدغون من جحر واحد مرتين .

(لوفت يسعل ليصفو صوته ، ثم يقول)

لوفت : كولونيل ! هذا كلام من يدعو الى الهزيمة ..
لابد أن نفعل شيئا .. لماذا أسقطوا هذه الأشياء
هنا بالذات فى رأيك ؟

لانسر : أحد أمرين : اما أنهم اختاروا هذا المكان
اعتباطا .. أو أنهم يعلمون أن بينه وبين بقية
البلاد صلات .. نحن نعلم أن بعض شبان هذه
المنطقة قد هربوا ..

لوفت (فى عصبية) : سيدى ! لابد من عمل شىء .

لانسر (ساخرا) : يا عزيزى الميجر لوفت .. ان
حماستك تحفزنى الى الثناء عليك فى تقرير خاص
للقيادة العليا .. أنت تريد أن تعمل شيئا دون
أن تعرف الموضوع تماما .. ان فتحنا لهذه البلاد
فتح جديد فى نوعه .. كانت العادة فى الفتوح
السابقة أن يبدأ الفاتح بتجريد أهل البلد من
السلاح .. أما الآن فذلك عسير ، لأن هناك
أسلحة جديدة لا يمكن تجريد الناس منها ..
خذ الراديو مثلا .. انه من أفعل أسلحة المقاومة
السرية .. يتلقون التعليمات ويرسلونها عن
طريقه .. ان المئات منهم جالسون الآن الى

جانب أجهزة الارسال والاستقبال فى زوايا مجهولة من بيوتهم ، بل تحت الأرض •• وفى التلال والغابات •• كيف تستطيع تجريدهم من هذا السلاح ؟

(يدخل جندى ويؤدى التحية العسكرية ويقول)

جندى : السيد كوريل يريد أن يقابل الكولونيل •

لانسر : دعه ينتظر ••

(يلتفت الى لوفت ويستمر فى كلامه)

انهم يقرأون هذه التعليمات التى تهبط عليهم من السماء ، فيعرفون كيف يستعملون الديناميت •• وبعد قليل ستهبط اليهم قنابل يدوية من الجو •• وبعد ذلك لفافات من السموم القاتلة ••

لوفت (فى جد وخوف) : انهم لم يسقطوا لفافات السموم بعد ••

لانسر : لا •• ليس بعد •• ولكنهم سيفعلون •• تصور حال جنودنا حينما يعلمون أن العدو قد قذف للناس هنا بكميات من السهام المسمومة •• سهام صغيرة مما تتسلى باللعب به فى أوقات

السـلم ، ولكن رؤوسها مشربة بسم السيانيد الفظيع.. انها لاتحدث صوتا اذا قذفوا بها .. ولكنها تنفذ فى الملابس وتسـتقر فى الجسـد وتنفث فيه الموت ! تصـور لو علم جنودنا أن النـاس هنا يملكون مقادير كبيرة من الزرنيخ ! هل يجـرؤ واحد منهم — أو حتى أنت — أن يأكل شيئا أو يشرب جرعة ماء فى اطمئنان ؟

لوفت : أراك ترسم لعدونا خطة القضاء علينا ياكولونيل.

لانسر : لا .. ولكنى أسبق تفكيره ..

لوفت : اننـا جالسون هنا نتحدث ، وكان واجبنا أن نـكون الآن مجتهدين فى البحث عن لفـافات الديناميت .. اذا كانت هنا منظمة سرية فيجب أن نضع أيدينا عليها.. لابد من القضاء عليها..

لانسر : أجل ! لا بد من ذلك .. لا بد من القضاء على هذه الخطط بحزم وقسوة .. اسمع .. ناد لى براكل.. كنت أتمنى لو كان لدينا عدد كبير من صغار الضباط .. ان مقتل تندور قد أضر بنا كثيرا .. ما كان ضره لو ترك النساء وشأنهن !

لوفت : لا تعجبنى تصرفات براكل يا سيدى ..

لانسر : ماذا يعمل ؟

لوفت : انه لا يعمل شيئا .. ولكنه كثير الحركة قليل الثبات ، ثم انه تنتابه نوبات من الانقباض الشديد ..

(لانسر يهز رأسه فى تفكير طويل ، ثم يقول)

لانسر : أجل .. انه معذور ، وأنا أعرف عذره .. ولو لم أكن أعرف هذا العذر وأفهمه وأعطف عليه وأعبر عن هذا العطف .. لولا ذلك لكنت الآن قائدا عاما .. لقد أعددنا شبابنا للنصر .. وهم يروعون النفس فى حالات النصر والظفر .. ولكننا لم نعلمهم كيف يتصرفون فى حالة الهزيمة .. لهذا يسيئون التصرف الآن .. قلنا لهم مرات لا حصر لها انهم أذكى وأشجع من غيرهم من شباب الأمم الأخرى ، وآمنوا بذلك .. ولهذا أذهلهم أن يكتشفوا الآن أنهم ليسوا أذكى من غيرهم فى شىء ..

لوفت : ماذا تعنى بقولك « الهزيمة » ؟ .. نحن لم ننهزم بعد ..

(لانسر ينظر اليه طويلا . تسود لحظة صمت .

لوفت ينظر اليه فى عتب شديد . لانسر يبتسم
ابتسامة خفيفة باهتة . لوفت يقول)

لست أنت الذى يطلب من الآخرين أن يسلموا
بذلك ..

لانسر : لا تخف .. ان الهزيمة لاتخطر لهم ببال .. ولهذا
فذكرها لا يعتبر اهانة لهم .. ولكن ذلك لايمنع
من أننا لا بد أن نجعلها فى حسابنا .. والا كان
ذلك اهانة .. لنا ..

لوفت : هذا حق !

لانسر : والآن ، امض الى عملك .. راقب پراكل جيدا ..
ابدأ تفتيشك الآن ، وحاذروا من اطلاق الرصاص
الا فى حالة الدفاع عن أنفسكم .. أتفهم ؟

لوفت : أجل يا سيدى .

(لوفت يحيى تحية عسكرية ثم يغادر الحجرة .
هنتر ينظر الى لانسر مبتسما ثم يقول)

هنتر : كنت عنيفا معه !

لانسر : اننى مضطر الى ذلك .. انه خائف .. اننى

أعرف هـذا النوع من الشـبان •• لا بد من الامساك به بيد حازمة والى النهـاية •• النظام وحده هو الذى يقيمه على قدميه ويبعث فى نفسه القوة •• هناك آخرون لا يحتاجون ليد عنيفة تمسكهم •• أولئـك ينفعهم العطف والتشجيع القلبى ••

(يغير لهجة حديثه)

أظن أنه خير لك أن تسـارع الى عمـلك الآن لاصلاح القضـبان •• ضع فى ذهنـك أنه من المتوقع جدا أن تنسف قضبانك كلها الليلة ••

هنتر : صحيح •• أظن أن تعليمات القيادة العليا تصلنا الليلة أيضا ••

لانسر : أجل !

هنتر : هل تظن أنها ••

(لانسر يقول مقاطعا، صوته يعلو شيئا فشيئا)

لانسر : أنت تعرف ماذا ستكون •• سيقولون : اقبض على الزعماء واضربهم بالرصاص •• خذوا رهائن وأعدموهم •• خذوا رهائن أخرى وأعدموهم ••

(يلاحظ أن صوته علا أكثر مما ينبغى . يخفض صوته حتى يصل الى الهمس)

كل ذلك والكراهية حولنا تشتد ، واحساسنا بالألم يزداد عمقا يوما بعد يوم ..

هنتر : هل اتخذت قرارا فى شأن أى من الأسماء المدرجة فى القائمة ؟

(ينظر الى حجرة زوج العمدة نظرة تدل على أن اسمها فى القائمة)

لانسر (همسا) : ليس بعد .. كل ما فعلناه هو أننا قبضنا عليهم .

(هنتر يقول فى هدوء وبعد تردد)

هنتر : كولونيل ! هل تريد أن .. اننى أشعر بأنك مرهق بالعمل .. هل تريد أن أبلغ القيادة أنك مجهد جدا .. وفى حاجة الى الراحة ؟

(لانسر يفتح عينيه على سعتهما وينظر الى هنتر، ثم يمر بيديه على جبهته وعينيه ويقول)

لانسر : لست مدنيا يا هنتر .. أنا من رجال الحرب ..

ونحن فقراء فى الضباط الآن•• أنت تعرف ذلك
(لحظة صمت)

امض لعملك ياميچر•• على أن أقابل كوريل••
(هنتر يذهب الى الباب ويفتحه وهو يبتسم ، ثم يقول)

هنتر : نعم •• هو هنا ••

(يلتفت الى لانسر ويقول)

هذا پراكل •• يريد أن يقابلك ••

لانسر : يتفضل ••

(يدخل پراكل مسرعا فى خطوه • وجهه متجهم يدل على حالة عصبية • يقول فى صوت متهدج)

پراكل : كولونيل لانسر ! سيدى •• أريد أن ••

لانسر (مقاطعا) : اجلس ياعزيزى•• اجلس واسترح••
كن جنديا •• ماذا يا لفتنانت ؟••

(يجلس • تزايله العصبية شيئا • يضع مرفقه على المنضدة وينظر الى لانسر)

پراكل : أريد ••

لانسر : (مقاطعا) : دعك من الكلام الآن .. انتظر قليلا .. أنا أعرف ما تريد أن تقوله .. كنت تظن أن الأمر سيكون على خلاف ما ترى الآن ، أليس كذلك ؟ كنت تظن الحرب والفتح واحتلال أراضى الغير أمرا لطيفا ..

پراكل (فى عصبية) : انهم يكرهوننا.. يكرهوننا من أعماق قلوبهم ..

لانسر : لست أدرى ما سر قلقكم هذا .. لا بد للحرب من شبان ، ولا بد للشبان من نساء ... أليست هذه مشكلتك ؟

پراكل : بالضبط .

لانسر : حسنا .. هل هى تكرهك ؟

(پراكل ينظر الى لانسر فى دهشة)

پراكل : لا أدرى بالضبط .. يخيل لى فى بعض الأحيان أن ما بها مجرد أسف ..

لانسر ولهذا أنت تشعر أنك تعيس ..

پراكل : اننى لا أحب الحياة هنا ..

لانسر (فى سخرية خفيفة) : هكذا ؟ كنت تحسب أن
الأمر هنا سيكون لهوا .. لقد راح اللفتنانت
تندور ضحية ذلك الشوق الذى يعذبك ..
وحينما أتوا به الى والمقص فى صدره قلت فى نفسى:
هذه فرصة تعيننى على اراحتك من متاعبك ..
أستطيع أن أستند الى ذلك وأطلب الى القيادة
العليا اعادتك الى الوطن .. هل تريد ذلك ، مع
علمك بأننا محتاجون اليك هنا ؟

پراكل (محرجا) : لا .. لا أريد ..

(لانسر فى هدوء وصوت خفيض ولكنه حازم)

لانسر : حسناً. سأقول لك شيئا أرجو أن تفهمه عنى :
اذكر دائما أنك الآن لم تعد انسانا ، بل جنديا .
راحتك لا أهمية لها، وحياتك لم تعد ذات قيمة.
لا تنس ذلك ! حياتك كانسان تقوم الآن على مجرد
ذكريات . هذا عن وضعك الحالى ونصيبك من
حياتك الراهنة . أما عن واجبك فهو تلقى الأوامر
وتنفيذها . وستجد أن معظم ما سيلقى اليك من
أوامر لا يسرك أو يرضيك . ولكن الحكم عليها
ليس من شأنك . كل ما عليك هو أن تنفذ ..
ينبغى أن تفهم ذلك تماما

(فى لهجة جافة وحزم)

لن أكذب عليك يا لفتنانت ، فقد كان ينبغى أن يعدوك لهذا العمل ويصارحوك بحقيقتــه ، بدلا من ايهامك أنه طريق مفروش بالزهور •• كان ينبغى أن يقولوا لك الحق ولا يخدعوك بالأكاذيب!

(لحظة صمت)

أنت قبلت هذا العمل •• أمستمر أنت أم تريد تركه ؟ اننا لن نســتطيع هنا أن نعنى بروحك وحالتك المعنوية ••

(پراكل يقف فى احترام)

پراكل : شكرا يا سيدى ••

لانسر : أما عن فتاتك يا لفتنانت ، فأنت حر فى التصرف معها كما تشاء : تستطيع أن تحافظ عليها، أو تبعث بها ، أو تتزوجها•• كما تشاء •• المهم عندنا أن تكون مستعدا لاطلاق الرصاص عليها اذا صدر لك الأمر بذلك ••

(پراكل يبدو عليه الضيق)

پراكل : أجل •• شكرا ••

(لانسر يبدو عليه الرثاء لبراكل والأسف لحاله)

لانسر : خير لك أن تعلم ذلك يا لفتنانت.. خير لك ألف مرة ! أؤكد لك .. اذهب الآن.. اذا كان كوريل لا يزال فى الانتظار فأدخله ..

(براكل يخرج ولانسر يتأمله فى أسف ظاهر . كوريل يدخل . يبدو من هيئته أنه تغير تماما عما عهدناه قبلا . لم يعد مرحا ولامستبشرا . وجهه يتحدث بالهموم والمخاوف. ذراعه فى« الجبس » معلق الى رقبته)

كوريل : كان ينبغى أن أراك قبل ذلك ياكولونيل..ولكنى لم أر من جانبك ما يدلنى على رغبة صادقة فى التعاون معى .. فترددت ..

لانسر : أظن أنك كنت تنتظـــر ردا على التقـــرير الذى قدمته ..

كوريل : كنت أنتظر أكثر من ذلك.. لقد رفضت أنت أن تضع فى يدى شيئا من السلطان والنفوذ ، وقلت اننى رجل لا قيمة له .. ونسيت أننى فى هذا البلد من قبلك بزمن طويل ، فأنا أعرف بحـــاله

وأهــله .. ثم انك تركت العمــدة فى مكانه ، مخالفا بذلك رأيى ..

لانسر : لو لم يبق هذا الرجــل فى مكانه لعمت الفوضى أكثر مما ترى ..

كوريل : هذا رأيك .. اننى أعتقد أن هذا الرجل يتزعم الثورة ..

(لانسر ينظر اليه ويهز رأسه)

لانسر : غير صحيح .. ما هو الا رجل بسيط ..

(كوريل يخرج بيــده السليمة دفترا صغيرا من جيبه الأيمن . يفتحه بأصبعه ، ثم يقول)

كوريل : لقد نسيت ياكولونيل أن عندى مصادر تزودنى بالأخبار ، وأننى فى هذا البلد منذ زمن بعيد .. ومن واجبى أن أقول لك ان العمدة أوردن له يد فى كل حادث وقع فى هذا البلد : ففى الليلة التى قتل فيها اللفتنانت تندور كان العمــدة فى نفس البيت الذى وقعت فيــه الجريمة قبــل ارتكابها بقليل .. وعندما هربت القاتلة الى التلال أقامت مختفية عند احدى قريبات العمدة .. لقد تتبعتها

الى هناك ، ولكنها أفلتت . ان العمدة على علم
بأمر كل رجل يهرب قبل هربه ، وهو يعينهم على
ذلك .. بل انني لا أشك في أن له يدا في مسألة
هذا الديناميت الذي يهبط من السماء ..

لانسر : ولكنك لا تستطيع اثبات ذلك !

كوريل : كلا .. لا أستطيع . وهذا يحيرني . أنا لا أشك
في أنه المحرك الأول لهذا كله .. ومع ذلك فلا
أستطيع قطع الشك باليقين ..

لانسر : اذن .. عماذا تشير ؟ .. ما هي مقترحاتك ؟ ..

كوريل : ان ما أريده ليس مجرد مقترحات .. شيء أقوى
من ذلك .. انني أرى ضرورة القبض على العمدة
والاحتفاظ به رهينة ، واعتبار حياته رهنا بهدوء
أولئك الناس وطاعتهم .. لابد أن يفهم أن حياته
مقابل أي قنبلة ديناميت تنفجر

(يخرج من جيبه حافظة أوراق يخرج منها ورقة
يبسطها ويضعها أمام لانسر ويقول في لهجة قوية)
هذا ياسيدي هو الرد الذي تلقيته على تقريري ..
جاءني رأسا من القيادة العليا .. أنت ترى أنه
يخولني نصيبا معينا من السلطة ..

(لانسر يقرأ الورقة فى تؤدة وهدوء . يبدو على وجهه شىء من الغضب . يتمالك نفسه وينظر الى كوريل فى كثير من الكراهية ويقول فى بطء وهدوء)

لانسر : هكذا ! دبرت الأمر من وراء ظهرى .. تخطيتنى .. أليس كذلك ؟..

(يصمت لحظة . يغير مجرى حديثه ولهجته)

سمعت أن بعضهم اعتدى عليك .. كيف حدث ذلك ؟

(كوريل ينظر الى ذراعه المربوط)

كوريل : حدث يوم قتل اللفتنانت تندور .. اقتحم بعضهم مسكنى ولم ينقذنى الا رجال الداورية .. تسلل بعض أهل القرية الى اليخت الذى أقيم فيه وسط النهر ..

(يصمت لحظة ثم يقول فى تصميم)

والآن يا سيدى الكولونيل .. هل أستطيع أن أكرر مرة أخرى أنه من الضرورى القبض على العمدة أوردن والاحتفاظ به رهينة ؟

لانسر : القبض عليه ؟ ولكنه معنا هنا وتحت رقابتنا ..

انه لم يهرب .. أليس هو الآن بمثابة رهينـــة فى أيدينا ؟.. ماذا تريد أكثر من ذلك ؟

(يسمع صـــوت انفجار شـــديد ويبرق نور من النافذة . ينظـــر كلاهما صوبها . تســـود لحظة صمت)

كوريل : أرأيت ؟ أنت تعلم تماما أن الأمر اذا مضى على هذا المنوال، فلن يبقى مكان الا وضعوا فيه ديناميت.

لانسر (فى هدوء) : ماذا تقترح ؟

كوريل : ماقلته لك بالضبط : القبض على العمدة واعتباره رهينة .. اذا استمر هذا العصـــيان كانت حياته هى الثمن ..

لانسر : هب أن العصيان استمر بعد أن نعدم أوردن ..

كوريل : اذن تقبض على ذلك الدكتور وينتر .. نعم انه لا يتولى وظيفة معينة .. ولكن سلطانه هنا يلى سلطان العمدة مباشرة ..

لانسر : كيف تقبض عليه مع أنه لا يلى وظيفة ما ؟

كوريل : ان الناس يثقون فيه ..

لانسر : وبعد أن نعدمه .. ماذا نعمل ؟

كوريل : هنا يستتب لنا الأمر .. هنا تخمد الثورة .. اذ أعدمنا القادة تلاشى العصيان من تلقاء نفسه ..

لانسر (فى سخرية) : أنت متأكد ؟

كوريل : لا بد أن يكون الأمر كذلك !

(لانسر يصمت لحظة، ثم ينهض متثاقلا وينادى)

لانسر : جاويش !

(يدخل الجندى الحارس بالباب ويؤدى التحية)

جاويش ! اننى ألقى القبض على العمدة أوردن والدكتور وينتر . ضعوا أوردن تحت الحراسة وائتونى بالدكتور وينتر حالا ..

الجندى : سمعا يا سيدى ..

(لانسر ينظر الى كوريل فى سخرية ويقول وهو فى طريقه الى الباب)

لانسر : أرجو أن تكون قد تدبرت تصرفاتك قبل التنفيذ ..

(لانسر يسير الى الباب ويخرج . يظل كوريل وحده فى الحجرة . يتأمل ذراعه المربوط ثم يبتسم ابتسامة باهتة)

ستار

المنظر الثامن

(يشق المتحدث الستار ويبرز منه . ملابسه كما هى فى كل المشاهد السابقة .. وجهه صامت يبدو فيه الهم)

المتحدث : انتشر خبر القبض على العمدة فى القرية على عجل . تناقلته شفاه الناس همسا ، ولمعت العيون بومضات مخيفة من الغضب ، ولكن انسانا منهم لم يفه بكلمة .. هؤلاء الناس لا يتكلمون ، لأنهم يعملون .. وأعقب انتشار الخبر حركة غير عادية ، فالناس يتجمعون فئات قليلة ، ثم يفترقون ، بعد أن يلقى بعضهم فى آذان بعض كلمات لا يعرف سرها غيرهم .. وازدادت حماسة الناس فى البحث عن الديناميت .. الأطفال هم أبطال هذا الميدان : يعثرون على اللفائف فيأكلون الشيكولاته ، ثم يدفنون الديناميت فى الثلج ويسرعون الى آبائهم فيخطرونهم عن مكانه .. والعمدة تحت الحراسة فى بيته .

(يرتفع الستار شيئا فشيئا)

هو هنا .. فى حجرته هذه

(يشير الى الحجرة اليمنى . على بابها يقف جندى بالسلاح .. ثم يشير الى المسرح)

وهذه هى غرفة مكتبه التى تحولت الى غرفة القيادة ، يقيم فيها الكولونيل لانسر القائد العام (الحجرة خالية يسودها وجوم . آنى جاثية أمام الموقد تضع فيه قطعا من الفحم .حجرة نوم العمدة على اليمين يقف على بابها حارس مدجج بالسلاح)

(آنى تنظر الى الحارس لحظة ، ثم تقول بعد تردد)

آنى : ما عساكم صانعون بعمدتنا ؟

(الجندى لا يرد ولا يلتفت اليها . تنظر اليه لحظة . تهز رأسها ، ثم تعود الى عملها . بعد لحظة يفتح باب الدخول فى الصدر ويدخل جندى مسلح ممسكا بالدكتور وينتر من ذراعه. الجندى يغلق الباب ويقف عنده ويدع ذراع الدكتور وينتر .

وينتر يصلح من هيئته وهو يبتسم . ثم يرى آنى فيقول)

وينتر : هذه أنت ! كيف حال سيادة العمدة ؟

(آنى تومىء برأسها الى باب غرفته وتقول)

آنى : انه هنا ..

وينتر : انه ليس مريضا ؟

آنى : لا أظن ذلك .. سأرى ان كنت أستطيع ابلاغه أنك هنا ..

(تذهب الى الجندى وتقول بلهجة أمر)

قل لسيادة العمدة ان الدكتور وينتر هنا .. أتسمعنى ؟

(الجندى لا يجيب ولا يتحرك . يفتح الباب خلفه ويبدو العمدة أوردن . يزيح الجندى جانبا فى رفق ويخطو فى الحجرة . يتحرك الجندى حركة من يريد اعادة العمدة الى غرفته بالقوة ، ولكنه يدع ذلك ويعود الى وقفته العسكرية . يسير العمدة نحو الدكتور وينتر وهو يقول لآنى)

أوردن : شكرا يا آنى .. لاتبعدى من هنا ، فقد أحتاج اليك ..

آنى : لن أبتعد من هنا يا سيدى .. كيف حال سيدتى ؟

أوردن : انها تمشط شعرها .. هل تريدين رؤيتها ؟

آنى : أجل ..

(تسرع الى باب الغرفة . تزيح الجندى قليلا وتنفذ الى حجرة العمدة على عجل قبل أن يستطيع الجندى ايقافها)

(أوردن ينظر الى وينتر مبتسما ويقول)

أوردن : دكتور ! ألك حاجة هنا ؟

(وينتر يقول وهو ينظر الى الجندى الذى أحضره)

وينتر : أظن أننى معتقل .. أحضرنى الى هنا صديقنا هذا ..

أوردن : أظن أنه لم يكن لك مفر من المجىء الى هنا .. لا أدرى ماذا عساهم فاعلون بعد ذلك ..

(ينظر الرجلان أحدهما الى الآخر نظرة طويلة تدل على أن كلا منهمـا يدرك ما يجول بذهن صاحبه)

أوردن : أنت تعلم أننى لم أكن أستطيع ايقاف هذا التيار .. حتى لو أردت !

وينتر : أنا أعرف ذلك تماما .. ولكنهم لا يعرفون .. (لحظة صمت.. يهز رأسه فى شيء من السخرية) أى ناس هؤلاء ! انهم لا يعـرفون الا طريقـا واحدا فى الحيـاة : طريقهم هم .. ويظنون أن الأمر لابد أن يكون كذلك عند سائر البشر ! انهم يخضعون لرئيس واحـد وتحركهم يد واحدة .. ويظنون لهذا أن الناس هنا كذلك.. لابد أن هناك رأسا تفكر لهم ويدا تدفعهم ! انهم ينسـون أننا شعب آخر .. لكل منا رأسه الذى يفكر به .. كلنـا رؤسـاء وقادة وقت اللزوم ..

(أوردن ينظر الى الجندى الواقف خلف وينتر عند الباب ثم يقول لوينتر)

أوردن : شكرا .. أنا أعرف ذلك .. ولكن يسعدنى أن أسمعك تقوله

(لحظة صمت . ينظر فى وجه وينتر فاحصا ، ثم يقول متسائلا)

ان شعبنا الصغير لن يهزم .. أليس كذلك ؟

وينتر : لن نهزم أبدا .. بالعكس .. سنزداد قوة بفضل ما يصلنا من المساعدات من الخارج .. وبفضل ثباتنا واتحادنا ..

(الجندى يتململ فى مكانه بعض الشىء . يحرك بندقيته ويسمع صوت خشخشتها مع أزرار ملابسه)

أوردن : اننى سعيد بأن أستطيع الكلام معك الآن يا دكتور .. فقد لا أستطيع ذلك فيما بعد .. (ينظر الى الجندى طويلا . الجندى لا يبدى ما يدل على أنه سمع شيئا)

اننى أفكر فى نهايتى .. لأن الأمور اذا سارت على النظام التقليدى الذى يتبعونه ، فلابد أنهم

سـيقتلوننى •• ولابد كذلك أن يقتلوك بعد ذلك ••

(وينتر ينظر اليه ويظل صامتا)

ألست ترى أنهم سيفعلون ذلك ؟

(وينتر يفكر قليلا ، ثم يقول فى بسـاطة تامة)

وينتر : أظن !

(يسـير الى كرسى مذهب كبير ليجلس عليه • يلاحظ أن فرشـه ممزق بعض الشىء • يسويه بيده ثم يجلس فى رفق)

أوردن : أصـارحك •• اننى خائف •• وقد كنت أفكر فى وسـيلة للهرب •• لأخلص من ذلك كله •• كان الفرار يدور برأسى لأنجو بنفسى •• شىء مخجل !

وينتر : ولكنك لم تهرب ••

أوردن : لا •• لم أفعل ••

وينتر : ولن تفعل ؟••

أوردن (مترددا) : لا •• لن أهرب •• ولكنى فكرت
في الفرار ••

(وينتر يقول له فى صوت رقيق ، مواسيا)

وينتر : وما أدراك أننا جميعا لم نفكر في الهرب ؟
ما أدراك ؟•• لعلى أنا أيضا فكرت فى الهرب••

أوردن : اننى أسائل نفسى : لماذا قبضوا عليك أنت أيضا ؟

وينتر : أظن ••

(يتوقف ويبدو عليه التفكير العميق ، ويعبث
بأصابعه وينظر اليها •• ثم يرفع رأسه وينظر
الى أوردن ويستطرد فى كلامه)

•• أنت تعلم ••

أوردن : اننى رجل صغير يادكتور•• وهذه قرية صغيرة••
ولكن •• لابد أن في قلوب صغار الرجال
شررا يشعل النار عند اللزوم •• اننى خائف••
خائف جدا •• لقد فكرت فى كل وسيلة تنجينى
بحياتى •• ثم تلاشى ذلك الشعور •• وحل
محله شعور آخر •• اننى أحس الآن باشراق

عظيم فى جوانب نفسى ، وأحس كأنما صرت رجلا أكبر .. ومن نوع أحسن ..

(لحظة صمت)

أتدرى فيم أفكر الآن يا عزيزى الدكتور ؟ أتذكر أيام كنا نقرأ فى المدرسة « دفاع سقراط عن نفسه » ؟ أتذكر قول سقراط : « ... ربما قال لى بعضهم : ألست تخجل يا سقراط من مسلكك الذى قد يؤدى بك الى حتفك ؟» وجوابى على هذا السؤال : انك مخطىء . انالرجل الصالح لاينبغى له أن يدخل الموت والحياة فى حسابه .. انه لايحسب حسابا الا لأمر واحد : هل ما يفعله خير أم شر ؟ » .

(وينتر يشير بيده طالبا اليه أن يتوقف ، ثم يبتسم ويقول)

وينتر : أظن أن صحة العبارة : « هل هو يقوم بدور رجل طيب أم شرير.. » ، كنت تخطىء فى هذه العبارة دائما .. فى أيام الدراسة ..

أوردن : ألا زلت تذكر ذلك ؟

وينتر : أجل .. لن أنسى موقفك أمام لجنة الامتحان

وأنت تلقى هذه العبـارة بالذات •• نسـيت اذذاك كلمات وسطورا ، وجعلت تعصر ذهنك وتستعين بشد ذيل سـترتك حتى تمزقت بعض الشيء دون أن تلاحظ •• وضحك الناس •• ووقفت تعجب لماذا يضحكون ••

(أوردن يبتسم •• يده تمتـد دون أن يدرى وتعبث بذيل السترة)

أوردن : كنت أقوم بدورسقراط •• وخيل الى وأنا ألقى دفاعه أننى أتهم ادارة المدرسة•• لماذا ، وكيف؟ لست أدرى •• لازلت الى الآن أرى وجـوه أعضاء اللجنة تحمر ••

وينتر : كانوا يغالبون الضحك•• لقد طلع ذيل الجاكتة فى يدك ••

أوردن (ضاحكا) : كم مر على ذلك ؟ أربعون سنة ؟

وينتر : ست وأربعون ••

(ينتقل الديدبان الواقف بباب حجرة العمـدة الىزميله الواقف بباب حجرةالدخول ويتحدثان فى صوت منخفض)

الحارس الأول: كم لك فى هذه النوبة ؟

الثـــانى : طول الليل.. لا أكاد أستطيع أن أفتح عينى..

الأول : أنا أيضا .. قل لى .. هل حملت اليك السفينة التى وصلت أمس أخبارا من زوجك ؟

الثـــانى : لقد لقيتهـــا على القـــارب أمس . وهى تبلغك تحياتها .. بلغها أنك جرحت ..

(أوردن ينظر الى السقف كمن يحـــاول تذكر شىء ، ثم يقول)

أوردن : لا أذكر بقية دفاع سقراط ..

وينتر : أنا أعطيك مفتاح الجمـــلة التـــالية ، اسمع : « ... والآن ، أيها الرجال .. »

أوردن : والآن ، أيها الرجال الذين اتهمتمونى ..

(يتوقف ثانيا ويحاول التذكر.. فى هذه الأثناء يدخل الكولونيل لانسر. الحارسان يقفان وقفة عسكرية جامدة . لانسر يسمع العبارة الأخيرة، فيقف مكانه ويصغى .. أوردن يتوقف لحظة ، ثم يعيد الجملة التى كان قد بدأها)

أوردن : والآن أيهـــا الرجال الذين اتهمتمونى .. اننى

أتنبأ لكم — لأننى على أبواب الموت ، وللناس
فىساعات الموت قوى خفية تمكنهم من التنبؤ —
اننى أتنبأ لكم يا قاتلى أنكم •• بعد موتى ••
(وينتر يقاطعه مصححا له عبارته)

وينتر : رحيلى ••

(أوردن ينظر اليه ويقول)

أوردن : ماذا ؟

وينتر (باسما) : « رحيــلى » لا « موتى » •• لقد
وقعت فى نفس الغلطة وأنت تلقى هذه القطعة
منذ ست وأربعين سنة !

أوردن : انى متأكد أن العبــارة : « بعد موتى » •• أنا
متأكد •

(يدور بعينهحوله، يرىالكولونيللانسر فيسأله)
أليست كما أقول : « بعد موتى » ؟

لانسر : لا •• انها : « بعد رحيلى » •• « بعد رحيلى
مباشرة » !

وينتر : قلت لك انها « رحيلى » ••

(أوردن يقف صامتا • يســتغرق فى تفكيره •

يتلفت حوله ، ثم ينظر الى السقف ، ثم يستطرد في القاء دفاع سقراط)

أوردن : انني أتنبأ لكم يا قاتلي أنكم بعد رحيلي مباشرة سينزل بكم عقاب أشد مما أنزلتموه بي ..

(وينتر يبتسم ويحني رأسه الىالأرض ويهزها ، ثم يرفعهــا وينظــر الى لانسر . لانسر يحني رأســه . كلاهما ينظر الى أوردن نظر المشجع الطالب المزيد . أوردن يستمر في القــاء دفاع سقراط)

.. أما أنا فســتقتلونني لكي تتخلصــوا ممن يتهمكم ويظهر آثامكم ، وحتى لا تضطروا الى كشف النقاب عن أفاعيلكم ..

(يفتح الباب ويدخل اللفتنانت پراكل في حالة ذعر وعجلة)

پراكل : كولونيل لانسر !

(لانسر يضع ســبابته على فمه اشــارة الأمر بالصمت ، ينتهره)

لانسر : شت !

(أوردن يسترسل فى القاء الخطاب مستمرا)

أوردن : ••• ولكن الأمر لن يكون كما حسبتم •• بل ستخيب ظنونكم على نحو يدهشكم

(صوته يزداد حزما وقوة)

•• لأنكم ستجدون أنفسكم أمام ناس يوجهون اليكم من التهم مايزيد على ماترون الآن بكثير••

(تتحول لهجته فتصبح خطابية)

أولئك الذين كنت أحول الى الآن بينهم وبين اتهامكم ناس أصغر منى سنا ، ولهذا سيكونون أقسى عليكم وأقل تورعا منى •• وسينالون منكم أكثر مما نلت منكم

(يتوقف محاولا تذكر الجملة التالية)

پراكل : كولونيل لانسر ! قبضنا على نفر من الناس يحرزون ديناميت ••

لانسر (منتهرا) : شت !

أوردن (مستمرا) : واذا كنتم تحسبون أن قتل الناس سيسكت الألسن عن اتهامكم وكشف النقاب عن أنفسكم الشريرة ، فلشد ما تخطئون ••

(يتوقف عن الالقاء • يبدو عليه أنه يحاول التذكر • يرفع عينيه الى السقف ، ويصمت لحظة ثم يبتسم وينظر الى وينتر ولانسر ويقول)
هـذا كل ما أستطيع تذكره •• لقد نسيت الباقى ••

وينتر : حسبك أن تذكر هذا بعد ست وأربعين سنة•• مع العلم بأن حافظتك لم تكن بالواعية من أصلها ••

پراكل : كولونيل لانسر ! هؤلاء الناس كانوا يبثون الديناميت •

لانسر : هل قبضتم عليهم ؟

پراكل : نعم •• قبض عليهم الكاپتن لوفت و ••

لانسر (مقاطعا) : قل للكاپتن لوفت أن يحجزهم ••
(ينظر الى أوردن ويغير لهجته ويقول فى صوت المهدد)
أوردن ! لابد من ايقاف هذه الأعمال ••

أوردن : انهم لن يتوقفوا عن ذلك يا سيدى ••

لانسر : لقد قبضت عليك لتكون رهينة بين يدى وضمانا

لاخلاد أهل بلدك الى السكينة والنظام.. هذه هى الأوامر التى تلقيتها ..

أوردن : ولكن القبض على لن يوقف هـذه الأعمال (ببساطة وسذاجة)

أنت لاتفهم أولئك الناس يا سيدى الضابط .. انهم يتصرفون من تلقاء أنفسهم .. اذا وجدوا أن وجودى هنا رهينة يحول بينهم وبين تنفيذ خططهم .. لم يكترثوا لمصيرى ، ومضوا يعملون ..

لانسر : قل لى واصدقنى .. اذا علم الناس أنك ستعدم ان هم أشعلوا ألغاما جديدة .. ماذا يفعلون ؟ (أوردن ينظر الى وينتر كأنه يعجب من أن لانسر لا يفهم . يفتح باب غرفة النوم . تخرج زوج العمدة وتتقدم الى زوجها وبيدها قلادته . تمد بها يدها لزوجها قائلة)

زوج العمدة : نسيت هذه ..

أوردن : ماذا ؟ آه ..

(يحنى رأسه . زوجه تلبسه القلادة)

شكرا يا عزيزتى ..

زوج العمدة : أنت تنساها دائما ..

(أوردن يمسك ميدالية القلادة وينظر فى وجهها متأملا)

(لانسر يعيد عليه السؤال مستحثا اياه على الاجابة)

لانسر : ماذا يفعلون ؟

(أوردن يهز رأسه ويقول ببساطة)

أوردن : أظن أنهم سيستمرون فى وضع الألغام واشعالها

لانسر : واذا فرضنا أنك طلبت اليهم أن يتوقفوا ؟

أوردن : كولونيل لانسر ! لقد رأيت اليوم من نافذتى بعض الصبيان يقيمون تمثالا كاريكاتوريا من الثلج لزعيمكم .. وتعجبت من معرفتهم لملامح ذلك الزعيم وقدرتهم على اخراجها فى هيئة لطيفة .. ثم رأيتهم يحطمونه بأيديهم ..

(لانسر يعيد عليه السؤال فى اصرار)

لانسر : قلت: واذا فرضنا أنك طلبت اليهم أن يتوقفوا؟..

(أوردن يجيب فى غير احتفـال كبير ، وبعـد لحظة صمت)

أوردن : عزيزى الكولونيـل ! اننى لسـت شجاعا كما تتصور .. أظن أنهم سيبثون الألغام على أى حال .. أرجو أن يفعـلوا ذلك .. واذا طلبت اليهم التوقف فسيهزون رؤوسهم فى أسف ..

زوج العمدة (فى سذاجة) : عم تتحدثان ؟

أوردن : انتظرى لحظة يا عزيزتى ..

لانسر : أتظن أنهم سيبثون الألغام رغم ذلك ؟

أوردن (فى حزم) : نعم .. سـيفعلون .. أنت ترى أن حياتى ليست بيدى .. كل ما أستطيع عمله هو أن أختـار الطريقة التى أموت بها .. اذا أنا قلت لهم : لا تقاتلوا ، تأسـفوا .. ولكنهم سـيستمرون فى الـكفاح .. واذا أنا أمرتهم بالاستمرار فى الكفاح ، فسيكونون سعداء .. وأكون — أنا الرجل الذى تنقصه الشجاعة — قد زدت بسـالتهم (يبتسم) وأنت ترى أن مصيرى مقرر.. وعلى هذا فخير لى أن أزيدهم حماسة من أن أجعلهم يأسفون لحالى.. مادامت

أوامرى — أيا كانت — لن تغير من مصيرى أو من تصميمهم ..

لانسر : أنت تعلم أننا نستطيع أن نذيع كلامك على النحو الذى يروقنا .. قد تقول : « نعم » ، ونستطيع نحن أن نقول لهم أنك قلت : « لا » .. نستطيع أن نقول لهم انك رجوتنا أن نحقن دمك ..

وينتر (غاضبا) : أتظن أن ذلك يجوز على الناس يا كولونيل ؟ انك لا تعرف شيئا .. انهم يفهمون كل شىء.. ثم انك لاتكتم أسرارك .. كل كلمة تخرج من فمك تتسرب الى الناس .. (يسمع صوت صفارة انذار آت من ناحية المناجم . عاصفة ثلجية تضرب زجاج النافذة بالثلوج)

(أوردن يمسك بميدالية القلادة بين يديه وينظر فيها لحظة . يرفع رأسه وينظر الى لانسر ويقول)

أوردن : ها أنت ترى .. لا شىء يوقف العاصفة .. (يهز رأسه ويقول فى هدوء وبساطة) لن يجديكم شىء.. ستتحطمون وتغادرون هذه

البـلدة .. ان النـاس لا يريدون أن يغلبوا يا سيدى ، ولهذا فلن تغلبوهم .. ان الشعوب الحرة لا تثير الحرب .. ولكنها اذا أثيرت عليها عرفت كيف تسـتمر فى الصراع حتى فى حالة الهزيمة.. أما شعوب القطعان .. الشعوب التى تسـيرها عصا زعيم مسـتبد ، فلا تسـتطيع الاستمرار فى الحرب الا فى حالة النصر.. ولهذا فهى تكسـب المواقع .. أما الشـعوب الحرة فتكسب الحروب .. وسترى بعينيك صـدق ما أقول .

(لانسر يبدو على وجهـه التجهم . يظل لحظة صامتا)

لانسر : ان أوامرى صريحـة : حددت السـاعة الحادية عشرة موعدا نهائيـا لايقاف بث هذه الألغـام وتفجيرها ، وقلت ان حيـاتك ثمن لأى انفجار يحدث بعد ذلك .. أنتم عندى رهائن وضمناء لايقاف أعمال العنف ..

وينتر : انالناس لن يتوقفوا عنتلكالأعمال ياسيدى.. أما أوامرك ففى استطاعتك أن تنفذها ..

لانسر : سأنفذ الأوامر التى لدى مهما حدث .. ولكنى أظن أن تصريحا منك سيحقن دمك ..

زوج العمدة : اننى لا أفهم عم تتحدثان ..

أوردن : هـدئى روعك يا عزيزتى .. كل ما تسمعين هراء ..

زوج العمدة : ولكنهم لا يستطيعون القبض على العمدة ..

أوردن : بالطبع لا .. ان العمدة لا يقبض عليه .. انه فكرة .. انه يرتبط فى أذهان الشعب بمعنى الحرية .. حرية الناس فى اختيار رئيسهم .. ومثل هذا المعنى لا يمكن القبض عليه أو ايداعه السجن .

(يسمع صوت انفجار رهيب من بعيد . صدى الانفجار يتردد فى التلال . يسمع صوت صفارة الانذار عند المناجم . أوردن يقف لحظة صامتا ثم يبتسم . يسمع صوت انفجار ثان أقوى وأقرب ، صداه يتردد فترة طويلة . العمدة ينظر فى ساعته ، ثم يخلع قلادته ويضعها فى يد الدكتور وينتر)

(أوردن يقول مخاطبا الدكتور وينتر)

أوردن : ما هى تلك الأغنية التى يتغنى بها شعبنا هذه الأيام يا صديقى ؟..

وينتر : حطم الطائر الحبيس قضبان القفص ..

(يفتح باب غرفة النوم فى بطء وتظهر آنى)

أوردن : آنى ! كنت تنصتين الى حديثنا ؟..

(يسمع صوت انفجار ثالث أقوى وأشد . يسمع صوت تحطم زجاج نوافذ . نوافذ الحجرة تهتز اهتزازا شديدا . لحظة صمت)

آنى ! أرجو أن تلازمى سيدتك طالما كانت فى حاجة اليك .. لا تتركيها وحدها ..

(يتقدم ويمسك بكتفى آنى ويقبل جبهتها . يسير الى حيث يقف الكابتن پراكل عندالباب ، ثم يلتفت الى الدكتور وينتر ويقول)

أتذكر آخر ما قاله سقراط ؟

وينتر : أجل .. قال مخاطبا صديقه كريتو : ياكريتو.. ان على دينا لاكلبيوس !

أوردن : هل تتفضل بقضاء ديونى ؟

(وينتر يحنى رأسه الى الأرض)

وينتر : نعم .. سأؤدى الديون ..

(أوردن يضع يده على ذراع پراكل . پراكل ينحى ذراعه . أوردن يرفع رأسه ثم يخرج ومن ورائه الضابط پراكل فى هيئة عسكرية)

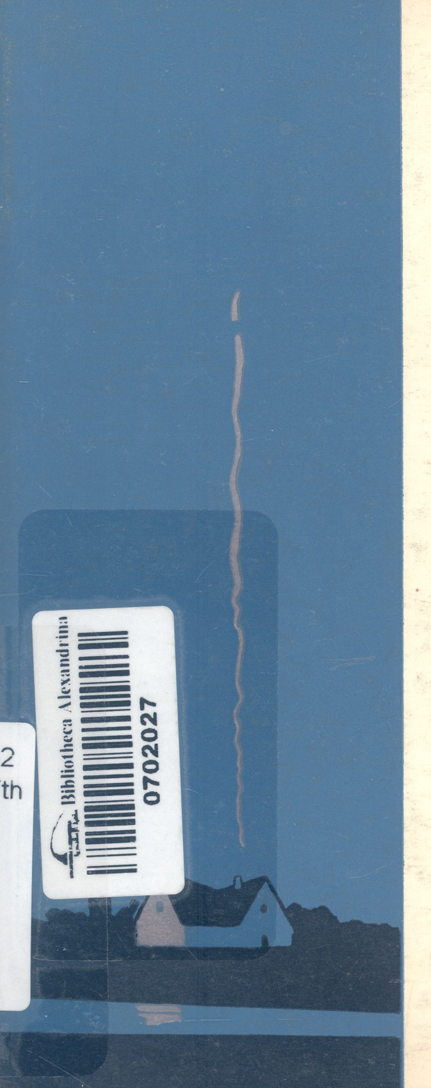
(وينتر ينظر الى لانسر)

أجل .. لا مفر من أداء الديون ..

(يخفت الضوء شيئا فشيئا حتى يسود الظلام ، ثم يسدل الستار)

الغلاف من رسم الاستاذ حسين بيكار

دار مصر للطباعة ــ ت ٧٥١٤٧



المؤلف

ولد چون ايرنست شتاينبك
John Ernest Steinbeck فى فبراير ١٩٠٢
فى بلدة ساليناس بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وقضى أيام صباه وشبابه الباكر يعمل فى المزارع ، ووجد فى نفسه ميلا للاطلاع فأقبل على القراءة ، ثم التحق بجامعة ستانفورد وقضى سنوات طويلة مكتفيا بالاستماع . وفى سنة ١٩٢٩ أخرج روايته الأولى « كأس من ذهب » فلم تلق رواجا ، ثم أتبعها بقصتين لم تكونا أحسن حظا ، ولكن قصته الرابعة « مسكن تورتيليا » Tortilla Flat وضعته فى مكانه بين كتاب عصره . وهو ينفرد بين الكتاب الأمريكيين المعاصرين باحساس انسانى سليم وادراك صادق لمشاعر الأوساط والعاملين .

وقد ألف القصة التى ننقلها هنا محورة للمسرح فى سنة ١٩٤٢ ، أى بعد أن نال جائزة پوليتزر للأدب بسنتين ، وهى أحسن قصصه على الاطلاق ، وأغناها بالشعور الانسانى الرفيع .

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى " الفجالة "